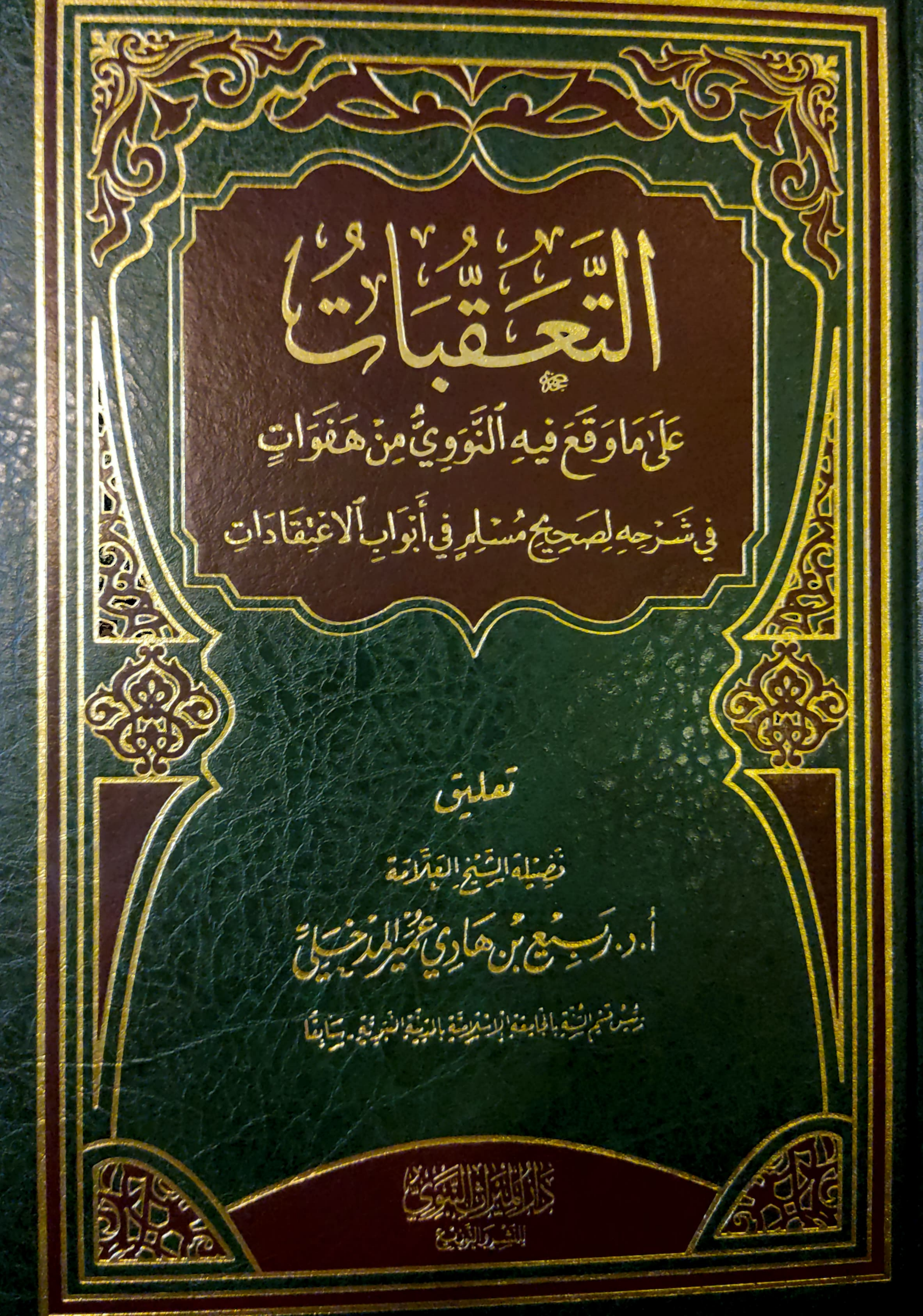

التعقبات
على ما وقع فيه النووي من هفوات
في شرحه لصحيح مسلم في أبواب الاعتقادات
تعليق
فضيلة الشيخ العلامة
أ.د. ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقاً
دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع



التعقبات

على ما وقع فيه النووي من هفوات

في شرحه لصحيح مسلم في أبواب الاعتقادات



الطبعة الأولى

لدار الميراث النبوي

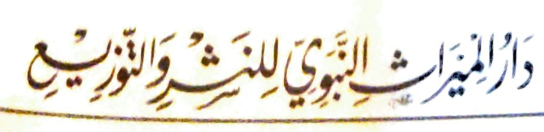
1442هـ - 2021م

ISBN :978-9947-48-196-7

الإيداع القانوني : أفريل:2021







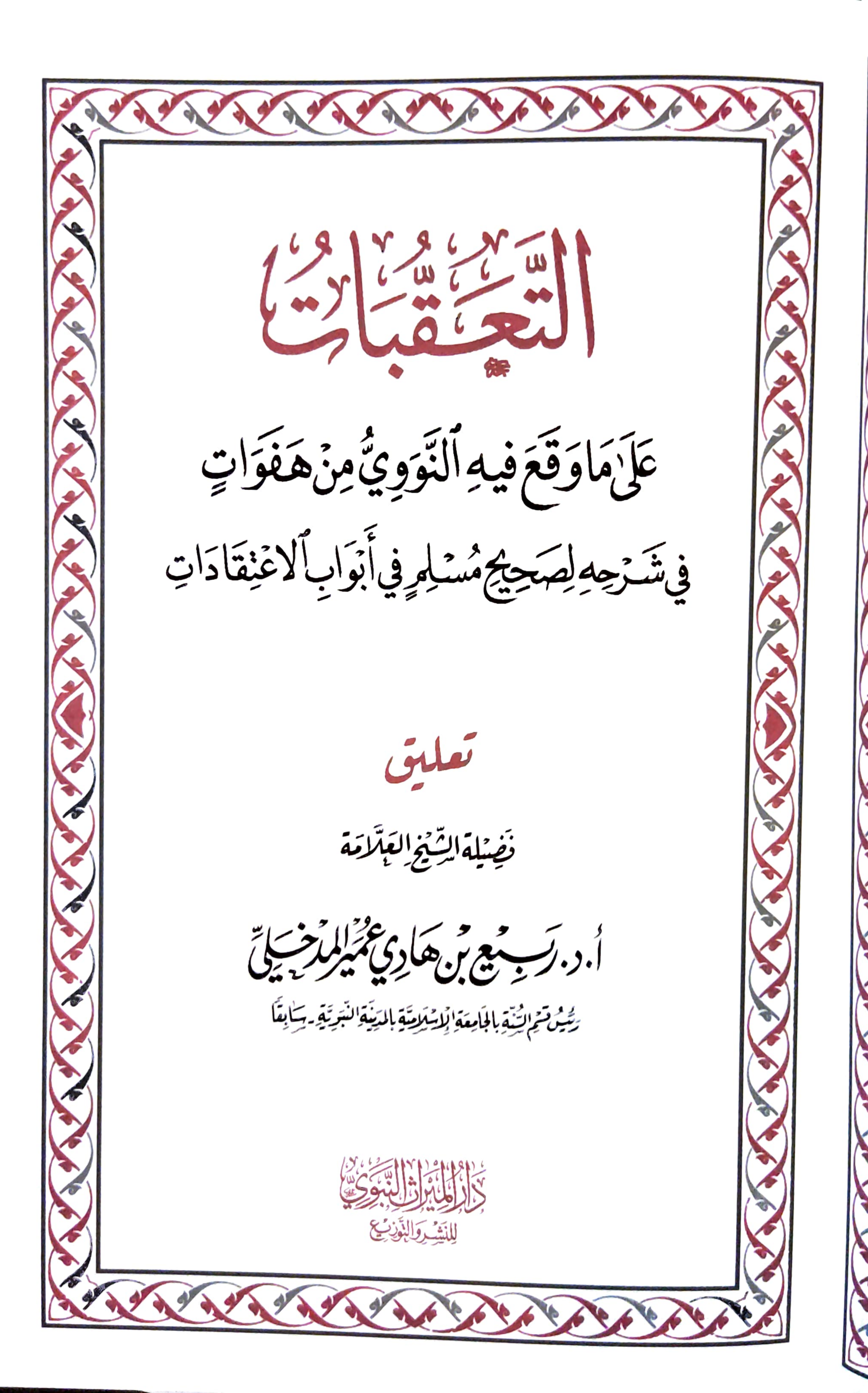
الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 550471594(00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com



@mirathennabawi



التعقبات

على ما وقع فيه النووي من هفوات في شرحه لصحيح مسلم في أبواب الاعتقادات

تعليق

فضيلة الشيخ العلامة

أ. د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقًا

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التقديم

الحمد لله الذي أرسل رسوله الهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه صلَّىٰ الله عليه وسلَّم تسليمًا مزيدًا.

أمَّا بعد: فقد أوجب الله تبارك وتعالىٰ علىٰ أهل العلم تعليم الجاهلين، وبيان الحقِّ من الباطل، وتمييز الهدىٰ من الضلال؛ فقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ويقول النبيُّ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قَالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[(١)].

وقد قام أئمَّةُ السُّنَّة وعلماؤهم بهذا الواجب خير قيام؛ فنشروا السُّنن، ودَعَوا إليها، وردُّوا خطأ المُخطئين، ونَهَوا عن اتِّباع زلَّات المُعَظَّمين؛ صونًا للشريعة وذبًّا عن الدِّين، ونصيحةً للمسلمين وشفقةً عليهم، قال شيخ

---

(١) رواه مسلم، برقم (٥٥).

الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: "ولهذا وجب بيانُ حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفُتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة؛ وإن كان المخطئ المجتهد مغفورًا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده، فبيانُ القول والعمل الذي دلَّ عليه الكتاب والسنَّة واجب؛ وإن كان في ذلك مخالفةٌ لقوله وعمله"[1] هذا؛ ولا يخفى أنَّه دخل على كثير من شروح الحديث شيءٌ من الآراء الكلامية ومخالفة منهج السلف خصوصا في باب الأسماء والصفات، كما دخل ذلك في كثير من كتب تفسير القرآن.[2]

ومن ذلك: شروح صحِيحَي البخاريِّ ومسلم رحمهما الله تعالى، وفي مقدِّمة ذلك شرح الإمام النووي رحمه الله لصحيح مسلم، وشرح الحافظ ابن حجر رحمه الله لصحيح البخاريِّ، مع ما عُلِم من منزلتهما في العلم والدين، والقيام بحفظ السنَّة، وتعظيم حُرمات الشرع، والذَّبِّ عن أئمَّة السُّنَّة، وما جُعل لمصنَّفاتهم من الانتشار والقبول عند أهل العلم وعوامِّ المسلمين، لكن زلَّت أقدامُهما في مسائل عقدية بتأويل وحُسن ظنٍّ بطريقة المتكلِّمين، ما حتَّم على أهل العلم والسنَّة التصدِّي لبيان تلك الأخطاء والهفوات؛ فقد نبَّه غيرُ واحدٍ من أهل العلم على ما وقع فيه الحافظُ ابنُ حجر - عفا الله عنه- من

(١) باختصار من "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٢٣٤).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٣٦٢).

أخطاء، ومنهم الشيخ الإمام العلَّامة عبد العزيز ابن باز رحمه الله؛ فإنَّه تتبَّع ما وقع للحافظ من زلَّات وكتب تعليقاتٍ واستدراكاتٍ وحشَّىٰ بها علىٰ "فتح الباري"، وكتب عليه غيرُه أيضًا.

وكذلك نبَّه كثيرٌ من أهل العلم علىٰ ما وقع فيه النوويُّ -عفا الله عنه- من زلَّاتٍ في باب الأسماء والصفات وغيره في كلام كثير متفرِّق في الكتب والمحاضرات، وقد تتبَّع الشيخ ربيع -حفظه الله- ما وقع في "شرح النووي علىٰ مسلم" من آراء أهل الكلام وبدعهم وغير ذلك من الأخطاء، وكتب عليها تعقُّباتٍ بخطِّه، وقد نُقل شيءٌ من هذه التعقُّبات في شرح الشيخ -حفظه الله- علىٰ كتاب الإيمان من صحيح مسلم، وهو مطبوع.[1]

ثمَّ رأىٰ الشيخ -حفظه الله- أن يخرج تلك التنبيهات كلَّها في كتاب مستقلٍّ، فأذن -جزاه الله خيرًا- بطباعتها ونشرها، نصيحةً للمسلمين وإبراءً للذمَّة، ولينتفع بها طلَّابُ العلم ومُحبُّو السنَّة، وكان غالبُ تلك التنبيهات في باب الأسماء والصفات، وفي أشياء ممَّا وقع فيه المتأخِّرون من البدع الاعتقادية والعملية، وفي بعض المسائل الفقهية، فتم إيراد ترجمة الباب ونصِّ الحديث الذي علَّق عليه النوويُّ، ثم إيراد نصَّ كلام النوويِّ المنتَقَد، ثمَّ تعقيب الشيخ ربيع وانتقاده، ليسهل الرجوع إلىٰ كلام النووي من الأصل،

---

(١) باسم: "الابتهاج بشرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم بن الحجاج".

وليتبيَّن وجه الانتقاد بيُسر، وعُنونَت هذه التنبيهات -تغليبًا- باسم: "التعقُّبات علىٰ ما وقع فيه النوويُّ من هفوات في شرحه لصحيح مسلم في أبواب الاعتقادات".

فجزىٰ الله الشيخ خيرًا علىٰ نُصحه، وبارك في علمه وعمله، وجعل ما كتبه في ميزان حسناته، ونسأله تبارك وتعالىٰ أن ينفع بهذه التعقُّبات المسلمين عمومًا وطُلَّاب العلم خصوصًا، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه.

الناشر

١- كِتَابُ الإِيمَانِ

ويتضمن الأبواب التالية:

١) بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَىٰ النَّارِ.

٢) بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ.

٣) بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ.

٤) بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

٥) بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ.

٦) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.

٧) بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا.

٨) بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

إِلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ.

﴿٩﴾ بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ

﴿١٠﴾ بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

﴿١١﴾ بَابُ مَعْنَىٰ قَوْلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، وَهَلْ رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

﴿١٢﴾ بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ»، وَفِي قَوْلِهِ: «رَأَيْتُ نُورًا».

﴿١٣﴾ بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ»، وَفِي قَوْلِهِ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

﴿١٤﴾ بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿١٥﴾ بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ.

﴿١٦﴾ بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا.

﴿١٧﴾ بَابُ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا.

﴿١٨﴾ بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

﴿١٩﴾ بَابُ قَوْلِهِ: «يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ».

١- بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(٣٣) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي؛ فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّىٰ. قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ، قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ، فَقَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**»، قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ. قَالَ: «**لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ**»، قَالَ أَنَسٌ: فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثُ، فَقُلْتُ لِابْنِي: اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في (١/ ٢٤٤): "قوله: «فخط لي مسجدًا»، أي: أعلم لي علىٰ موضع لأتخذه مسجدًا، أي: موضعًا أجعل صلاتي فيه متبركًا بآثارك،

والله أعلم.

وفي هذا الحديث أنواع من العلم تقدم كثير منها، ففيه: التبرك بآثار الصالحين[١] وفيه زيارة العلماء والفضلاء والكبراء أتباعَهم وتبريكهم إياهم..".

أقول: لا يجوز التبرك بأحد بعد الرسول ﷺ، فهذا خاص به ﷺ؛ ويدل علىٰ ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يتبركوا بأحد بعد موت الرسول ﷺ؛ لماذا وقد كان فيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم؟ لم يتبرك الصحابة بأحد منهم؛ لعلمهم أن هذا الفعل من خصائص النبي ﷺ، أفضل الخلق وسيد المرسلين ﷺ.[٢]

---

(١) ذكر هذا الأمر في عدة مواضع من شرحه وهي كالتالي: (٤/ ٢١٩)و(٧/ ٣) و(١١/ ٣٦و٥٥) و(١٤/ ٤٤و٦٧و١٢٤) و(١٥/ ٨٢).

(٢) قال الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في كتابه "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص١٥١-١٥٢): "وأما ما ادَّعاه بعض المتأخرين من أنه يجوز التبرك بآثار الصالحين فممنوع من وجوه:

منها: أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وأفضل الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة ولا فعله التابعون مع سادتهم في العلم والدين وهم الأسوة، فلا يجوز أن يقاس علىٰ رسول الله ﷺ أحد من الأمة، و للنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره.

ومنها: أنَّ في المنع من ذلك سدًّا لذريعة الشرك كما لا يخفى".اهـ.

٢- بَابُ بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٧١) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ صَالِحِ ابْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ٦١): "وعلىٰ هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالىٰ وبرحمته وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر، واختلفوا في كراهته والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره؛ فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم".اهـ.

أقول: هذه الأحاديث تتضمَّن ترسيخ العقيدة في نفوس المؤمنين، وتُنزِّه هذه العقيدة من الشرك ومن ألفاظه؛ لأن المتكلِّم بهذا الكلام: «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ**

كَذَا». قد يكون كافرًا إذا كان يقصد أن المطر إنما أنزلته الكواكبُ، أو أن لها تأثيرًا ومشيئةً في إنشاء هذا المطر وإنزاله، متناسيًا ربَّ هذا الكون والمتفضِّل على عباده بهذه الرحمة، فهذا كفرٌ لا خلاف فيه، إذا كان يقصد أنها مدبِّرة ومُنشئة مع الله أو دونه، ويشبه هذا -والله أعلم- وأشدُّ منه ما يعتقده أهلُ الضلال في الأولياء أنهم يعلمون الغيب ويتصرَّفون في الكون، فهذا قولٌ في تفسير الحديث، من قاله على هذا الوجه فإنه لا شك أنه كافر، أن الكواكب لها تأثير، ولها تدبير، فينسب إليها هذا على أنها مُدبِّرة مُنشئة، فهذا كفر لا شك فيه. أما إذا كان يعتقد أن الله هو الذي تفضَّل على عباده بهذه الرحمة وأنزل عليهم الغيث، ولكن يرى أن هذا النجم هو وقتُ نزول المطر، فهذا شركٌ في اللفظ، لا يجوز أن يقوله المسلم؛ لأنه بذلك يشابه الكفار أهل الجاهلية، ولا يجوز له ذلك.

ويرى النوويُّ أن هذا مكروهٌ كراهةَ تنزيهٍ، ولكن هذا خطأ، ليس بكراهة تنزيه، وإنما هو محرَّم؛ لأنه إذا كان الجاهليون يعتقدون أن النجوم تدبِّر وتُنشئ، وأنت تحاكيهم وتقول مثل قولهم، فهذا قد يدخل في قوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]. فهذه من الكبائر، ومن الشرك اللفظي الذي لا ينبغي

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٥١١٤) و(٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد جوّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٦٩)، وصححه الألباني رحمه الله في "إرواء الغليل" (٥/ ١٠٩) رقم (١٢٦٩).

أن يقوله المسلم، بل يسند هذه النعمة إلىٰ الله، ويقول: إن الله تفضَّل علينا، ورحمنا بإنزال هذا الغيث، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأما أن يقول: مُطرنا بنوء كذا، مُطرنا بنوء الثريا، بنوء الهَقْعة، نوء الهَنْعَة ....، فقد كان الكفار والجاهليون يُسندون إنزال المطر إلىٰ هذه الكواكب، والعياذ بالله، قال النبيُّ ﷺ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.** -فهذا الذي يبنغي أن يقوله المسلم- **فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

فالمسلم الحريص علىٰ رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحريص علىٰ حفظ لسانه وقلبه من هذه الألفاظ والأقوال لا يقول هذا الباطل؛ لأن الرجل قد يتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالًا، فتهوي به في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، وقد يكون هذا من هذا الباب إذا كان غير معتقد، أما إذا كان معتقدًا علىٰ الوجه الذي ذكرناه، فهذا لا شك كفرٌ مُخرِج من الملَّة.[1]

---

(١) انظر "الابتهاج بشرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم بن الحجاج" (ص٧٤).

٣- بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٩١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، جَمِيعًا عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ حَمَّادٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّىٰ: حَدَّثَنِي يَحْيَىٰ بْنُ حَمَّادٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ٩٠-٩١) من شرحه لصحيح مسلم: "وقوله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» اختلفوا في معناه، فقيل: إن معناه أنَّ كلَّ أمره سبحانه وتعالىٰ حسن جميل وله الأسماء الحسنىٰ وصفات الجمال والكمال.

وقيل: جميل بمعنىٰ مجمل، ككريم وسميع بمعنىٰ مكرم ومسمع، وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: معناه جليل.

وحكىٰ الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنىٰ ذي النور والبهجة، أي: مالكهما.

وقيل: معناه: جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه، واعلم أن هذا الاسم ورد في هذا الحديث الصحيح، ولكنه من أخبار الآحاد، وورد أيضا في حديث الأسماء الحسنىٰ وفي إسناده مقال، والمختار جواز إطلاقه علىٰ الله تعالىٰ، ومن العلماء من منعه، قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين رحمه الله تعالى: ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالىٰ وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم؛ فإن الأحكام الشرعية تتلقىٰ من موارد الشرع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم لكنا مثبتين حكما بغير الشرع. قال: ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما يقطع به الشرع ولكن ما يقتضىٰ للعمل وإن لم يوجب العلم فإنه كافٍ إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بهن في تسمية الله تعالىٰ". اهـ

أقول: فهذا مثل قولهم: جاء أمرُه في تأويل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، والرسول ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ» يقولون: إن أمره جميلٌ، فهذا من التأويل، أمرُه جميلٌ لاشك، ولكن ماذا يريد الرسول ﷺ بهذا الكلام، أوصف الأمر أم وصف الله؟ فالوصف هنا لله عَزَّوَجَلَّ، جميلٌ يحبُّ الجمال، فيه وصفُ الله بهذا الوصف، ووصفُه بالمحبَّة.

قول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقِيلَ: جَمِيلٌ بِمَعْنَىٰ مُجَمِّل، كَكَرِيمٍ وَسَمِيعٍ، بِمَعْنَىٰ

مُكْرِم وَمُسْمِع".

فهذا تأويلٌ أيضًا.

أقول: يعني: يجمل أولياءه ويكرمهم،

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَقَالَ الْإِمَام أَبُو الْقَاسِم الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَاهُ جَلِيل".

أقول: معنىٰ الجليل يؤخذ من غير هذا النصِّ.

قوله: "وَحَكَىٰ الْإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ ذِي النُّور وَالْبَهْجَة".

أقول: والله ذو النور والبهجة، ولكن هذا يؤخذ من غير هذا، فهذا من لوازمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَيْ: مَالِكهمَا".

أقول: انظر؛ يقول: مالكهما! يعني يريد أنه ليس موصوفًا بالجمال، فهذا تأويل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقيل: معناه: جَمِيلُ الْأَفْعَال بِكُمْ، بِاللُّطْفِ وَالنَّظَر إِلَيْكُمْ، يُكَلِّفكُمُ الْيَسِير مِنَ الْعَمَل، وَيُعِين عَلَيْهِ، وَيُثِيب عَلَيْهِ الْجَزِيل، وَيَشْكُر عَلَيْهِ".

أقول: كل هذه تأويلات بلا شك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الِاسْم وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيث الصَّحِيح، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَخْبَار الْآحَادِ".

أقول: هذا من المصائب؛ وإن كان يقول بأحاديث الآحاد ويثبت بها كثيرًا

من الأشياء، ولكنه هنا كما ترىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَوَرَدَ أَيْضًا فِي حَدِيث الْأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ، وَفِي إِسْنَاده مَقَالٌ".

أقول: يعني: الجميل ورد في حديث الأسماء الحسنىٰ، ويقول: في إسناده مقال؛ لأن ترتيب الأسماء ليس من الرسول ﷺ، وإنما سردها بعض العلماء، ومنهم سعيد بن عبد العزيز شيخ الوليد بن مسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْمُخْتَار جَوَازُ إِطْلَاقِهِ عَلَىٰ اللَّه تَعَالَىٰ، وَمِنَ الْعُلَمَاء مَنْ مَنَعَهُ. قَالَ الْإِمَام أَبُو الْمَعَالِي إِمَام الْحَرَمَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِإِطْلَاقِهِ فِي أَسْمَاء اللَّه تَعَالَىٰ وَصِفَاته أَطْلَقْنَاهُ، وَمَا مَنَعَ الشَّرْع مِنْ إِطْلَاقه مَنَعْنَاهُ، وَمَا لَمْ يَرِد فِيهِ إِذْنٌ وَلَا مَنْعٌ، لَمْ نَقْضِ فِيهِ بِتَحْلِيلٍ وَلَا تَحْرِيمٍ؛ فَإِنَّ الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّةَ تُتَلَقَّىٰ مِنْ مَوَارِد الشَّرْع".

أقول: يعني: ما لم يذكره الله عَزَّوَجَلَّ لا بنفي ولا إثبات؛ لا ننفيه ولا نثبته أيضًا، فلا يجوز إطلاقه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه من القول علىٰ الله بلا علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَوْ قَضَيْنَا بِتَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيمٍ لَكُنَّا مُثْبِتِينَ حُكْمًا بِغَيْرِ الشَّرْع، قَالَ: ثُمَّ لَا يُشْتَرَط فِي جَوَاز الْإِطْلَاق وُرُود مَا يُقْطَع بِهِ فِي الشَّرْع، وَلَكِنْ مَا يَقْتَضِي الْعَمَل، وَإِنْ لَمْ يُوجِب الْعِلْم".

أقول: يعني أخبار الآحاد إذا جاء فيها اسمٌ، نطلقه علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا نَفَت عنه شيئًا نفيه، فهنا اعتبر أخبار الآحاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَإِنَّهُ كَافٍ، إِلَّا أَنَّ الْأَقْيِسَةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الْعَمَلِ، وَلَا يَجُوزُ التَّمَسُّكُ بِهِنَّ فِي تَسْمِيَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ".

أقول: لا يجوز القياس إلا في العمليات، أما في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، فلا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا يجوز التمسُّك بهنَّ في تسمية الله تعالىٰ وَوَصْفه. هَذَا كَلَام إِمَام الْحَرَمَيْنِ، وَمَحَلّه مِنَ الْإِتْقَان وَالتَّحْقِيق بِالْعِلْم مُطْلَقًا، وَبِهَذَا الْفَنّ خُصُوصًا مَعْرُوفٌ بِالْغَايَةِ الْعُلْيَا".

أقول: إن النوويَّ هنا نقل تأويلات الأشاعرة، واختار جواز إطلاق هذا الوصف علىٰ الله، ونقل عن إمام الحرمين الجواز.

لكنِّي أخشىٰ أن يكون مرادهما بجواز الإطلاق علىٰ سبيل التفويض، علىٰ طريقة الأشاعرة الذين لا يسيرون علىٰ منهج السلف في الإيمان بصفات الله وإثباتها لله علىٰ الوجه اللائق بالله، بل عندهم يطلقون اللفظ، مع عدم إثباتهم لمعناه في باب صفات الله كلِّها، إلا الصفات السبع: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر... إلخ.[1]

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص١٣٦ - ١٣٩).

٤- بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ١١٦) من شرحه لصحيح مسلم: "وَأَمَّا أَلْفَاظُ اللُّغَةِ وَنَحْوِهَا فَقَوْله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ**» هُوَ عَلَىٰ لَفْظِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

قِيلَ: مَعْنَىٰ «**لَا يُكَلِّمُهُمْ**»، أَيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ تَكْلِيم أَهْل الْخَيْرَاتِ بِإِظْهَارِ الرِّضَا، بَلْ بِكَلَامِ أَهْل السُّخْط وَالْغَضَب.

وَقِيلَ: الْمُرَاد الْإِعْرَاض عَنْهُمْ.

وَقَالَ جُمْهُور الْمُفَسِّرِينَ: لَا يُكَلِّمهُمْ كَلَامًا يَنْفَعهُمْ وَيَسُرّهُمْ.

وَقِيلَ: لَا يُرْسِل إِلَيْهِمْ الْمَلَائِكَة بِالتَّحِيَّةِ.

وَمَعْنَى «لَا يَنْظُر إِلَيْهِمْ» أَيْ: يُعْرِض عَنْهُمْ. وَنَظَرُهُ -سُبْحَانه وَتَعَالَى- لِعِبَادِهِ رَحْمَته وَلُطْفه بِهِمْ.

وَمَعْنَى «لَا يُزَكِّيهِمْ» لَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَس ذُنُوبِهِمْ. وَقَالَ الزَّجَّاج وَغَيْره: مَعْنَاهُ لَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ.اهـ

أقول: في هذا الباب ساق مسلم رحمه الله حديث أبي ذر وحديث أبي هريرة رضي الله عنهما، حديث أبي ذر رضي الله عنه في ثلاثة: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في ثلاثة وثلاثة، الثلاثة الأُوَل: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

وثلاثة آخرون: «**ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**».

هؤلاء التسعة ورد فيهم هذا الوعيد -والعياذ بالله-، فلا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم.

وورد في القرآن مثلُ هذا الوعيد في حقِّ الكفار: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

والنوويُّ فسَّر النظر هنا بمعنىٰ الرحمة واللطف بهم، وهذا تأويلٌ، علىٰ عادة الأشاعرة الذين أخذوا هذا المذهب عن الجهمية، وإذا جاء نصٌّ فيه الرحمة أوَّلوها بالإحسان مع الأسف.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهِّرهم من دنس الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم، يعني: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا ينظر إليهم كما ينظر إلى أوليائه، ولا يزكِّيهم، وهناك من يقول: لا ينظر إليهم نظر رحمة، والله أعلم.

الشاهد: أننا نثبت النظر لله عَزَّوَجَلَّ، ونثبت له الرؤية، وأنه يرىٰ ويسمع ويبصر ويعلم، مثل سائر صفاته الثابتة في الكتاب والسنة.(١)

(١) انظر "الابتهاج" (ص١٨٥).

٥- بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٣٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِيَّ نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَيَمِينُهُ**»، قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في (٢/ ١٦٢):** "وأما قوله ﷺ: **«لقي الله تعالىٰ وهو عليه غضبان»**[(١)]، وفي الرواية الأخرىٰ: **«وهو عنه معرض»** فقال العلماء: الإعراض والغضب والسخط من الله تعالىٰ هو إرادته إبعاد ذلك المغضوب عليه من رحمته وتعذيبه وإنكار فعله وذمه، والله أعلم".اهـ

أقول: من هم العلماء الذين أولوا هذه الصفات؟

الجواب: علماء الكلام المعطلين الصفات، أما علماء السلف الصالح، وأئمة السنة؛ فإنهم يثبتون الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله ﷺ في سنته علىٰ الوجه اللائق بالله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ومنها صفة الرضىٰ والغضب؛ فإنهم يثبتونهما لله ولا يؤلونهما بإرادة الإبعاد عن رحمته وتعذيبه.

والنوويُّ -كعادته وعلىٰ طريقة الأشاعرة- تأوَّل الغضب هنا بإرادة إبعاده عن رحمة الله، وهذا خطأ كبير، ويكثُر هذا من النوويُّ -غفر الله له-؛ فإنه تأثر بالمنهج الأشعري إلى حدٍّ بعيد، وينقل عن الرازي، وينقل عن القاضي عياض، وكلهم أشاعرة، وهذا مخالف لما عليه الصحابة والسلف الصالح، وحتىٰ هنا قال: "وقال العلماء" ! وهذا الكلام خطأ؛ لأن العلماء ما قالوا هذا

(١) قطعة من حديث وائل بن حجر الكندي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الكلام، ما قاله إلا أهلُ البدع وأهلُ الكلام الفاسد، أما العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، مثل مالك والأوزاعي والثوري وأحمد بن حنبل والشافعي ويحيىٰ بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري... وهلم جرًّا، هؤلاء لا يوجد عندهم إلا الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه رسوله ﷺ في سنَّته، الإيمان بذلك، والتصديق به، وإثباتُه علىٰ الوجه اللائق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، سواء الصفات الذاتية: كالعلم والإرادة والقدرة وما شاكل ذلك، أو الفعلية ومنها: الرحمة، والغضب، والنزول، والمجيء، وما شاكل ذلك.[1]

(١) انظر "الابتهاج بشرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم بن الحجاج" (ص٣٠٠).

٦- بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِه بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِه فَهُوَ شَهِيدٌ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٤٠) حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**».

(١٤١) حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ رَافِعٍ -وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ- قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ تَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ، فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَوَعَظَهُ خَالِدٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ١٦٣) بعد ذكر الأحاديث: "أَمَّا أَلْفَاظُ الْبَابِ فَالشَّهِيدُ قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حَيٌّ لِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ شَهِدَتْ دَارَ السَّلَامِ وَأَرْوَاحَ غَيْرِهِمْ لَا تَشْهَدُهَا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".اهـ

أقول: هذا الكلام غيرُ صحيح؛ فإن أرواح المؤمنين أيضًا في الجنة، أرواحُ الشهداء معلَّقة في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش، وكذلك أرواحُ المؤمنين في الجنَّة، وتشهدها قبل يوم القيامة، وفي ذلك أحاديث صحيحة[1].

ثم قال النووي رحمه الله في (٢/ ١٦٤): "قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- يَشْهَدُونَ لَهُ بِالْجَنَّةِ. فَمَعْنَى شَهِيدٍ: مَشْهُودٌ لَهُ. وَقِيلَ: سُمِّيَ شَهِيدًا لِأَنَّهُ يَشْهَدُ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ مَا لَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ".

أقول: هذا لكل مؤمن؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وهناك حديث لعبد الله بن عمر[2]: أن الميت في حالة الاحتضار يرى مقعده من الجنة ومقعده من النار[3].

---

(١) تكلم الشيخ عن هذه المسألة بالتفصيل في "عون الباري بما تضمنه شرح السنة للإمام البربهاري" (١/ ٤٣٤ - ٤٤٠).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)، ولفظه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

(٣) انظر "الابتهاج" (ص ٣١١).

٧- بَابُ بَيَانِ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٤٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢/ ١٧٧): "قال القاضي: وقوله ﷺ: «**وهو يأرز إلى المدينة**» معناه: أن الإيمان أولا وآخرًا بهذه الصفة؛ لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرًا مستوطنا، وإما متشوقا إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلما منه ومتقربا، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك، ولأخذ سيرة العدل منهم، والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم؛ فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها، ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ

والتبرك بمشاهده وآثاره وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن. هذا كلام القاضي، والله أعلم بالصواب".

أقول: لم يُشرع شدُّ الرحال إلى قبر النبيِّ ﷺ والتبرُّك بآثاره وآثار أصحابه، ولا إلى قبور الأنبياء والصالحين، لم يدلَّ علىٰ ذلك قرآنٌ ولا سنَّة، وإنما شُرعت الهجرة إلى المدينة لنصرة النبيِّ ﷺ، وأخذ الدين عنه.

ولقد حثَّ الرسول الكريم ﷺ المسلمين أن يشدُّوا الرحال إلى المساجد الثلاثة[1]، منها: مسجده ﷺ؛ لأن الصلاة فيه بألف صلاة.[2]

ولم يندب الناسَ إلى شدِّ الرحال إلى قبره، ولا قبور غيره من الأنبياء والصحابة، ولم ينصَّ علىٰ فضل الزيارة إلى قبره، ولا إلى قبر غيره من الأنبياء، فضلًا عن غيرهم.

وقد شُرعت زيارة القبور للتذكُّر، ونفع الأموات بالدعاء لهم، ولقد نهىٰ النبيُّ ﷺ أن يُتَّخذ قبرُه عيدًا[3]، من أجل كلِّ هذا لم يكن الصحابة ولا السلف

---

(١) رواه البخاري برقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري برقم (١١٨٨)، ومسلم برقم (٨٢٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم (١١٩٠)، ومسلم برقم (١٣٩٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد برقم (٨٨٠٤)، وأبو داود برقم (٢٠٤٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود".

يشدُّون الرحال إلى قبر النبيِّ ﷺ، ولا إلى قبر غيره.[(١)]

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ[(٢)]

(١) للشيخ –حفظه الله– مقال بعنوان: [حكم الإسلام في شد الرحال إلىٰ قبور الأنبياء والصالحين] ناقش فيه المخالفين لمنهج السلف في هذا الأمر مناقشة حديثية، وعقدية، وفقهية، وردَّ شبهات المخالفين بالحجة والبرهان، انظره في "مجموع مؤلفات الشيخ" (٤/ ١٤٤–١٥٨)، وانظر أيضًا تحقيقه لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" (ص٢١٤) وما بعدها.

(٢) انظر "الابتهاج" (ص٢٣٦-٢٣٧).

٨- بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(١٦٠) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢/ ١٩٨): "قولها: «ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلىٰ أهله ويتزود ثم يرجع إلىٰ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيتزود لمثلها حتىٰ فجئه الحق»، أما الخلاء فممدود وهو الخلوة، وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين".

أقول: الخلوة علىٰ هذا الوجه والذي يفعله الصوفية ليست مشروعة في الإسلام؛ بدليل أن رسول الله ﷺ لم يعد إلىٰ غار حراء، ولم يفعلها[1] بعد البعثة هو ولا أصحابه ولا أئمة الإسلام، فما يفعله الصوفية غلط لا مستند له من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، ولا من عمل الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

(١) أي: الخلوة.

٩- بَابُ الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٦٢) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا

لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدِ اُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ»، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا

أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ عليه السلام حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ٢١٤): "قوله ﷺ: «فرجعت إلىٰ ربي» معناه رجعت إلىٰ الموضع الذي ناجيته منه أولا فناجيته فيه ثانيا. وقوله ﷺ: «فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالىٰ وبين موسىٰ ﷺ» معناه: بين موضع مناجاة ربي، والله أعلم".

أقول: هذا تأويل باطل؛ إذ المقصود به إنكار علو الله وفوقيته، وعلو الله واستواؤه علىٰ عرشه ثابتٌ بالنصوص الكثيرة المتواترة من الكتاب والسنة وثابت بإجماع السلف الصالح.

[هنا أوَّل النوويُّ قول النبيِّ ﷺ: «بَيْنَ رَبِّي»، أوَّله بالمكان الذي كان يناجي فيه ربَّه[١]، وهذا من عقائد الأشعرية؛ لأنهم لا يعترفون بعلوِّ الله، ولا استوائه علىٰ عرشه، وهذا خطأ فادح، بل ما عُرج به إلا إلى الله، وما يصعد إلا إلى الله وينزل إلى موسىٰ، فكان يصعد إلى الله يكلِّمه ويناجيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما فائدة المعراج إذا كان الله في كل مكان، أو لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار، كما يقول الأشاعرة والعياذ بالله؟

فلو كان كذلك كان يكلِّمه وهو في مكة أو في مسجده، ولا داعي لهذا الصعود والنزول، ثم إن علوَّ الله واستواءه علىٰ عرشه ثبت بألف دليلٍ من الكتاب والسنة، وأحصاها ابنُ القيم في عشرين نوعًا[٢]، كل نوع يندرج تحته أدلة كثيرة، فتبلغ الأدلة علىٰ علوِّ الله وفوقيته علىٰ خلقه إلى ألف دليل، وقد جمع منها ابن القيم في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية"[٣] أدلة كثيرة جدًّا،

---

(١) "شرح مسلم" (٢/ ٢١٥).

(٢) انظر: "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" (ص:٧٣-١٠٦/ ابن تيمية)، و"إعلام الموقعين" (٢/ ٢١٥-٢١٧/ محمد عبد السلام).

(٣) (٢/ ٩٦-١١٨)، مطابع الفرزدق، تحقيق: عواد المعتق.

والذهبي في "العلو"(١)، وفي القرآن وحده قضية الاستواء في سبع آيات في عدد من السور: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ... يعني قضية الصفات قضيةٌ وقعت فيها الفرق الإسلامية -والعياذ بالله- وقعت في شرٍّ كبير، ولهذا كان السلف يكفِّرون من ينكر علوَّ الله عَزَّوَجَلَّ، أو ينكر استواءه علىٰ عرشه، ويغلِّظون عليهم أشدَّ التغليظ، ولكن المتأخِّرين قلَّدوا، مع أنهم يحبُّون الإسلام، وليس عندهم كيد ولا مكر، ولكن أوقعهم التقليد للأسلاف في هذه البلية العظيمة، والقرآن مليءٌ بالأدلة: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك:١٦]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤].

رحلة المعراج بالرسول ﷺ إلىٰ ربِّه تعالىٰ، فهذه القضية تثبت بدليلٍ واحد، وهذه عليها مئاتُ الأدلَّة من الكتاب والسنة في قضية الاستواء والعلو ولا تقبل؟! نسأل الله العافية! هذا بلاءٌ يصيب العقول والعياذ بالله.

فالنوويُّ يقول: يرجع إلى المكان الذي كان يناجي فيه ربَّه. يعني: لا يرجع إلى ربِّه، والنبيُّ ﷺ قال: «**فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **وَبَيْنَ مُوسَىٰ** ﷺ»، ولم يقل: إلىٰ المكان الذي كنت أناجي فيه ربِّي، ومن الذي يكلِّمه؟

---

(١) (ص١١-١٠٢) مكتبة أضواء السلف، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

يكلِّمه ربُّه، يكلِّمه من فوق؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]، ليس عن أيمانهم أو شمائلهم ولا تحتهم. تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فإذا كانت قضية الاستواء والعلو ونحوها لا تثبت بهذه الأدلة، فلا يثبت شيءٌ، ولا نستطيع أن نثبت أي حقيقة، قال ﷺ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ مُوسَىٰ ﷺ» لم يقل: بين الأماكن.[1]

(١) انظر "الابتهاج" (ص٤١٨ - ٤٢٠).

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٦٣) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ، قَالَ: فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ»، قَالَ: «قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ ﷺ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ»، قَالَ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: فَفَتَحَ»، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ: «وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَىٰ، وَمُوسَىٰ، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يُثْبِتْ

كَيفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عليه السلام فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: «ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَىٰ عليه السلام، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ»، قَالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَىٰ»، قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَىٰ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ»، قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ»، قَالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًىٰ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ»، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ أَمُرَّ بِمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ عليه السلام: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَىٰ عليه السلام: فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ

فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ٢١٨): "وأما جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما مع أنهما معنيان، وهذه صفة الأجسام، فمعناه والله أعلم: أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما؛ فسمي إيمانا وحكمة لكونه سببًا لهما، وهذا من أحسن المجاز ... " إلخ.

أقول: وهذا تأويلٌ باطلٌ، ولا داعي للجوء إلى هذا التأويل الفاسد؛ لأن الله تبارك وتعالى أخبرنا أنه يزن هذه المعاني، يزن الإيمان، ويزن الأعمال، وهي معانٍ وأجسام.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:٦،٧]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فكما توزن، كذلك تملأ بها الأواني، فالله عز وجل يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، كيف توزن وهي معاني؟!.

يملأ بها الميزان، ولو كانت كأمثال الجبال، ولو كانت وزن مثقال ذرة توزن، فكذلك هذا الطست وهو إناء ملأه الله حكمة وإيمانًا، كما هو نصُّ الحديث: «ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا».

فقوله: "إِنَّ الطَّسْتَ كَانَ فِيْهِ شَيءٌ يَحْصُل بِهِ كَمَال الْإِيمَان وَالْحِكْمَة" هذا تأويلٌ فاسدٌ، والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يملأ الأشياء بالمعاني، ومن هذا الإنسان؛ لأن الله قادر علىٰ كلِّ شيء، لا يعجزه شيء، ومن هنا أنكر المعتزلة الميزان، يقولون: الأعمال والأعراض كيف توزن؟

إذا كان البشر الآن في هذا العصر يقيسون درجات الحرارة وحرارة الكهرباء يزنونها وهي أعراض توزن، فكيف بربِّ العالمين؟!

البشر يستطيعون أن يزنوا هذه الأعراض، والله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يستطيع؟! أستغفر الله وأتوب إليه.

قال: "وهذا من أحسن المجاز"، هذا من أسوأ المجازات والمجاز لا وجود له في القرآن ولا في السنة؛ فهذه مسألة.

ودعوىٰ المجاز قد بين بطلانها عدد من العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والعلامة الشنقيطي.[1]

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص٤٤٥- ٤٤٧).

فالصحيح: أن الله يفعل ما يشاء، وقادر أن يجمع المعاني والأعراض، ويزنها، ويملأ بها الأشياء، وكما يمتلئ الميزان بالأعمال كذلك يمتلئ بالحكمة والإيمان، فلا داعي لهذا التأويل.[١]

وقد ورد في السنة ذكر وزن الأعمال والميزان كثيرًا، ومنها قوله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن، خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٣) باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وأن أعمال بني آدم وأقوالهم توزن.

وقوله ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة**».

أخرجه البخاري في التوحيد - حديث (٧٤١٠) من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم في الإيمان - حديث (١٩١) من حديث جابر رضي الله عنه.

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص٤٦٤).

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٦٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**» فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ. فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ** ﷺ -فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعَرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ- **وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي**»، قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا: هَرْشَىٰ -أَوْ لِفْتٌ-، فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا**».

قال النووي رحمه الله في (٢/ ٢٣٠): "وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ اسْتِحْبَاب وَضْع الْأُصْبُع فِي الْأُذُن عِنْد رَفْع الصَّوْت بِالْأَذَانِ وَنَحْوه، مِمَّا يُسْتَحَبّ لَهُ رَفْع الصَّوْت. وَهَذَا الِاسْتِنْبَاط وَالِاسْتِحْبَاب يَجِيء عَلَىٰ مَذْهَب مَنْ يَقُول مِنْ أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ: إِنَّ شَرْع مَنْ قَبْلنَا شَرْع لَنَا، وَاللهُ أَعْلَم".

أقول: ولكن هذا مأخوذ من صفة الصلاة، ومأخوذ من عمل بلال[(١)]، وهذا في التلبية، وهذا في الأذان، والعبادات ليس فيها قياس، فنقول: إن

(١) رواه أحمد (١٨٧٥٩)، والترمذي (١٩٧)، وابن ماجه (٧١١)، عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال الترمذي: "حسن صحيح". وصححه الألباني في "الإرواء" (٢٣٠).

استنباط هذا الحكم وجعله في الأذان من هذا الحديث ليس صحيحًا، فالأذانُ غيرُ التلبية، وشريعةُ مَن قبلنا ليست شريعة لنا، إلا ما وافق شرعنا.

والرسول ﷺ لو كان يريد أن يتأسَّىٰ بموسىٰ، كان وَضع يديه، وعلَّم الناس أن يضعوا أيديهم في التلبية، ووضع الأيدي في الأذان من السنَّة التي أقرَّها النبيُّ ﷺ.[1]

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص ٤٦٩).

١٠- بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٦٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ يَعْنِي ابْنَ عِيَاضٍ، عَنْ مُوسَىٰ وَهُوَ ابْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، عَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»**، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَىٰ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ»**.

قال النووي رحمه الله في (٢/ ٢٣٦): "قَوْله ﷺ: **«إِنَّ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيح الدَّجَّال أَعْوَر عَيْن الْيُمْنَىٰ»**، مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّه تَعَالَىٰ مُنَزَّه عَنْ سِمَات الْحَدَث، وَعَنْ جَمِيع النَّقَائِص".

أقول: هنا تأوَّل النوويُّ تأويلًا يوحي بأنه لا يُثبت العينين لله عَزَّوَجَلَّ، فقال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ".

ولا شك أن الله يتنزَّه عن مشابهة المخلوقين، لكن له عينان، وله وجه، وله يدان، تليق بذاته، لا تشبه صفات المخلوقين.

فلا داعي لهذا التأويل؛ فالرسول ﷺ يريد أن يبيِّن أن الله ليس بأعور، وأن الله له عينان تليق بجلاله؛ وهذا ليتميَّز هذا الخبيث الدجَّال، وليكون المؤمن علىٰ بصيرة من أمره حينما يرىٰ هذا الدجَّال، ويعلم صدق رسوله ﷺ الذي وصف هذا الخبيث بأنه أعور، وأنه دجال، وأنه قطط....

فهذه الأوصاف كلها؛ ليكون المؤمن علىٰ بصيرة من هذا الدجَّال الذي يدَّعي الربوبية، ويؤكّد هذا بأن الله ليس بأعور؛ لأن بعض الناس قد يشتبه عليه الأمر، فيبيِّن لهم هذا.

الشاهد: أن أهل السنة يأخذون من هذا الوصف أن للَّه عينين[1] تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا موجودٌ في القرآن: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" كتاب التوحيد - باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، حديث (٧٤٠٧ و٧٤٠٨)، و"نقض عثمان بن سعيد علىٰ بشر المريسي العنيد" (١/ ٣٠٤-٣٠٥ و٣٢٧-٣٣٣)، و"التوحيد" لابن خزيمة (١/ ٩٧-١٠٤).

[القمر: ١٤]، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

والله تعالىٰ وصف نفسه بالرؤية، وأنه بصيرٌ، وأنه يرىٰ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

هذه كلُّها صفاتُ العينين التي تحصل بها الرؤية، ولكنَّنا ننفي عن الله المشابهة ولا نعطِّل.[1]

(١) انظر "الابتهاج" (ص٤٧٧).

١١- بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(١٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَأَىٰ جِبْرِيلَ».

(١٧٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «رَآهُ بِقَلْبِهِ».

(١٧٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ، قَالَ الْأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».

(١٧٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ:

مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ**»، فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]؟، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(١٧٧) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، هَلْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ!

لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلْتَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ وَحَدِيثُ دَاوُدَ أَتَمُّ وَأَطْوَلُ.

(١٧٧) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٨-١٠]؟ قَالَتْ: "إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ.

قال النووي رحمه الله **في** (٣/ ٤): "قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رحمه الله: اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ هَلْ رَأَىٰ نَبِيُّنَا ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؟ فَأَنْكَرَتْهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها كَمَا وَقَعَ هُنَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَجَاءَ مِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَمَاعَةٍ وهو الْمَشْهُورُ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَكَعْبٍ رضي الله عنهما، وَالْحَسَنِ رحمه الله، وَكَانَ يَحْلِفُ عَلَىٰ ذلك، وَحُكِيَ مِثْلُهُ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَحَكَىٰ أَصْحَابُ الْمَقَالَاتِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ رَآهُ، وَوَقَفَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا فِي هَذَا وَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَلَكِنَّهُ جَائِزٌ، وَرُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا جَائِزَةٌ، وَسُؤَالُ مُوسَىٰ إِيَّاهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ جَوَازِهَا؛ إِذْ لَا يَجْهَلُ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ أَوْ يَمْتَنِعُ عَلَىٰ رَبِّهِ.

وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي رُؤْيَةِ مُوسَىٰ ﷺ رَبَّهُ، وَفِي مُقْتَضَى الْآيَةِ وَرُؤْيَةِ الْجَبَلِ

فَفِي جَوَابِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُمَا رَأَيَاهُ وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ هَلْ كَلَّمَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ أَمْ لَا؟ فَحُكِيَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَقَوْمٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَعَزَا بَعْضُهُمْ هَذَا إِلَىٰ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وابن مسعود، وابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما".

أقول: بعضُ الناس يدَّعي أن رسول الله رأىٰ ربَّه بعيني رأسه، وقد ذكر النوويُّ[1] كثيرًا من هؤلاء، لكن الصحيح ما جاء عن عائشة، وأبي هريرة، وابن مسعود وغيرهم أنه ما رأىٰ ربَّه ﷺ، لا في ليلة الإسراء ولا في غيرها، وأن هذا لا يحصل لرسول الله ﷺ ولا لغيره إلا في الآخرة، فعُمدة هذا الباب هو ما روته عائشة وابن مسعود وأبو هريرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك كلُّ من ادَّعىٰ أنه رأىٰ ربَّه بعينيه قبل الموت؛ فدعواه باطلة؛ باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم علىٰ أن أحدًا من المؤمنين لا يرىٰ ربَّه بعَيْني رأسه حتىٰ يموت، وثبت ذلك في "صحيح مسلم" عن النواس بن سمعان عن النبيِّ ﷺ، أنه لما ذكر الدجال قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَىٰ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ**».

وكذلك رُوي هذا عن النبيِّ ﷺ من وجوه أخر، يحذِّر أمَّته من فتنة

---

(١) "شرح مسلم" (٣/ ٤-٥ و٦).

الدجال، وبيَّن لهم أن أحدًا منهم لن يرىٰ ربَّه حتىٰ يموت، فلا يظننَّ أحد أن هذا الدجال الذي رآه هو ربُّه، ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو علىٰ مراتب كبيرة، قال النبيُّ ﷺ لمَّا سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان، قال: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وقد يرىٰ المؤمن ربَّه في المنام في صور متنوعة علىٰ قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأىٰ ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حُكمٌ غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبيرٌ وتأويل؛ لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق، وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة من الرؤيا نظيرُ ما يحصل للنائم في المنام، فيرىٰ بقلبه مثلما يرىٰ النائم، وقد يتجلَّىٰ له من الحقائق ما يشهده بقلبه، فهذا كله يقع في الدنيا، وربَّما غلب أحدهم ما يشهده قلبُه وتجمعه حواسه؛ فيظنُّ أنه رأىٰ ذلك بعَيْني رأسه، حتىٰ يستيقظ فيعلم أنه منام، وربَّما علم في المنام أنه منام، وهكذا من العبَّاد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتىٰ تُثنيه عن الشعور بحواسِّه، فيظنها رؤيا بعينه، وهو غالط في ذلك، وكلُّ من قال من العُبَّاد المتقدمين أو المتأخرين أنه رأىٰ ربه بعَيْني رأسه فهو غالط في ذلك، بإجماع أهل العلم والإيمان، نعم رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضًا للناس في

عرصات القيامة؛ كما تواترت الأحاديث عن النبيِّ ﷺ، حيث قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**»"[١] اهـ.[٢]

وقول النووي رحمه الله: "وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ هَلْ كَلَّمَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ أَمْ لَا؟".

الحق أن ربَّه عَزَّوَجَلَّ كلَّمه ﷺ، وكلم ربه كما سلف في أحاديث الإسراء.

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) انظر "الابتهاج" (ص٤٩٤ – ٤٩٦).

قال النووي رحمه الله في (٣/ ٥): "فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء؛ لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم".

أقول: لم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربه بقلبه، وهذا الأمر لم تنكره عائشة ولا غيرها من الصحابة، وإنما حصل الإنكار للرؤية البصرية ليلة الإسراء، وهذا مستفاد من قوله ﷺ لأبي ذر: «**نور أنَّىٰ أراه**».

والصواب: أنه لا خلاف بين الصحابة في الرؤية البصرية أما غير الصحابة، فمن ادَّعاها لا دليل له إلا قول ابن عباس، وقد سبق أن ابن عباس لم يقل بالرؤية البصرية، فما رجح النووي غير راجح، أما رؤية الله في الآخرة، فهي ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة، ولا ينكرها إلا أهل الضلال.

[إن الصواب والراجح أن ابن عبَّاس رضي الله عنهما لم ينقل عن النبيِّ ﷺ أنه رأىٰ ربَّه بعَيْني رأسه، وإنما قال ذلك تفسيرًا لقول الله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

وهذا ما رواه مسلم في هذا الباب في كتاب الإيمان حديث (١٧٦)، ولولا ورود ما يعارضه من بيان الرسول ﷺ لأخذنا به، ولقلنا بما قاله النوويُّ رحمه الله وغيره ممن استند إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن هذا ممَّا لا يدرك

بالعقل، وهذا التعليق على كلام النووي يرجح فيه أن رسول الله ﷺ رأى ربّه بعَيني رأسه، والذي يعارض تفسير ابن عباس هو ما رواه مسلم رحمه الله من طريق مسروق عن عائشة أنها قالت: "ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ". قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ"، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]؟".

لقد فهم مسروقٌ مثل فهم ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما، بل أشدُّ، ألا وهو الرؤية البصرية، ويبدو أن عائشة رضي الله عنها نفسها فهمت هذا الفهم، فدفعها إلى سؤال رسول الله ﷺ، والذي لا يجوز التردُّد في الأخذ به، إنما هو بيانُ رسول الله ﷺ الذي نزلت عليه هذه الآيات، والذي أُسري به فعلًا، ورأى جبريل في

هاتين المرَّتين اللتين أخبر عنهما.

وممَّا يؤكد حديث عائشة رضي الله عنها في تفسير هاتين الآيتين اللتين فسرهما ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما، ما رواه مسلم رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾. قال: «**رَأَىٰ جِبْرِيلَ** عليه السلام **لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**».

وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾. قال: «**رَأَىٰ جِبْرِيلَ**». فهذان شاهدان لحديث عائشة رضي الله عنها، مما يدلُّ علىٰ أن أبا هريرة وابنَ مسعود إنما تلقَّياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلىٰ كلٍّ فابنُ عبَّاس لم يقل ولم يثبت عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأىٰ ربَّه بعَيْني رأسه، أمَّا رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه فهذا لا يُنكر، ولكنه لا يصلح تفسيرًا لهذه الآيات التي فسَّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بخلاف تفسير ابن عبَّاس، والذي نعتقد في ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنه لو بلغه حديثُ عائشة وما يؤيِّده لرجع عن تفسيره كما هو عادتُه وعادةُ الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ومما يؤكد ما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!**» الذي رواه مسلم في هذا الباب.

ورواه أحمد (٥/ ١٧١)، ويقع في "الموسوعة الحديثية من مسند الإمام أحمد" (٣٥/ ٣٩٣-الرسالة).

وفي إحدىٰ الروايات جاء فيه: "علىٰ طريق الإيجاب"[1]، فلو كان رسولُ الله ﷺ رأى ربَّه لقال: نعم.

بل لو كان قد رآه لأخبر بذلك في أحاديث الإسراء وغيرها، كما أخبر عن رؤيته الأنبياء في السموات، آدم، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ويحيىٰ، ويوسف، وهارون، وإدريس، عليهم الصلاة والسلام، وكما تحدَّث عن رؤية الملائكة والبيت المعمور وسدرة المنتهىٰ، ورؤيته الجنة؛ إذ رؤية الله أعظم من رؤيته لهذه الأمور، ولو حصلت لأخبر بها أصحابه، ولشاعت بينهم.

ملاحظة: علَّق محقق «المسند» في الجزء الخامس والثلاثين، صفحة ثلاثمائة وإحدىٰ عشرة وثلاثمائة واثنتي عشرة، علىٰ قوله: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**» بقولهم: (٤م-٥ق-).

يعني إشارة إلىٰ نسخ «مسند الإمام أحمد» التي بنوا عليها تحقيقهم- «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»، وضُبطت في (ظ٥)- بفتح الهمزة الأولىٰ وتشديد النون المفتوحة، ولم تضبط في (ق)، وأما نسخة (ر) فقد ضبطت فيها: «**نُورَانِي**»، بضم النون الأولىٰ وكسر الثانية وياء مشددة نسبة إلىٰ النور، وقوله في آخر الحديث -يعني: علىٰ طريق الإيجاب- يظهر أنه من كلام عبد الله بن أحمد أو من كلام الإمام

---

(١) (٣٥/ ٣١١)، وسيأتي الكلام عليها.

أحمد، فحينئذ تقرأ الكلمة: «**نُورَانِيٌّ أَرَاهُ**».

قلت: وأنا لا أظنُّ أن هذا من الإمام أحمد، ولا من ابنه عبد الله، وإنما من تصحيف بعض النسَّاخ، والله أعلم.

وواصل المحققون النقل فقالوا: "قال القاضي كما في "شرح مسلم" للنووي (٣/ ١٢): (لم تقع إلينا ولا رأيتها في شيء من الأصول). وقال ابنُ تيمية عنها: (إنها تصحيف). قلنا: والصواب أنها كلمتان «**نُورٌ أَنَّىٰ**»، قال النووي في "شرح صحيح مسلم" (٣/ ١٢): "هكذا رواه جميعُ الرواة في جميع الأصول والروايات، ومعناه: حجابه نور، فكيف أراه؟".

قلنا: وهذا المعنىٰ مأخوذ من حديث أبي موسىٰ عند مسلم (١٧٩)، رفعه: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوَ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

قَالَ الْإِمَام أَبُو عَبْد الله الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "الضَّمِير فِي: «**أَرَاهُ**». عَائِدٌ عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ النُّور مَنَعَنِي مِنَ الرُّؤْيَة كَمَا جَرَتِ الْعَادَة بِإِغْشَاءِ الْأَنْوَار الْأَبْصَار، وَمَنْعهَا مِنْ إِدْرَاك مَا حَالَتْ بَيْن الرَّائِي وَبَيْنَهُ"[1].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يشرح حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

---

(١) "شرح مسلم" للنووي (٣/ ١٢).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

قال: وفي "صحيح مسلم" عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ». فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يقول: معناه: كان ثَمَّ نورٌ، وحال دون رؤيته نورٌ، فأَنَّىٰ أَراه، قال: ويدلُّ عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك؟ قال: «رَأَيْتُ نُورًا».

والله قد أعضل أمر هذا الحديث علىٰ كثيرٍ من الناس، حتىٰ صحَّفه بعضُهم، فقال: «نُورَانِيٌّ أَرَاهُ» علىٰ أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا ومعنىً، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربَّه، وكان قولُه: «أَنَّىٰ أَرَاهُ؟!» كالإنكار للرؤية؛ حاروا في الحديث، وردَّه بعضُهم باضطراب لفظه، وكلُّ هذا عدولٌ عن موجب الدليل، وقد حكىٰ عثمانُ بنُ سعيد الدارمي في كتاب "الرد" له إجماع الصحابة علىٰ أنه ﷺ لم ير ربَّه ليلة المعراج، وبعضُهم استثنىٰ ابن عبَّاس من ذلك.

يقول ابن القيم: "وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحديث؛ فإن ابن عبَّاس لم يقل: رآه بعَيني رأسه. وعليه اعتمد أحمدُ في إحدىٰ الروايتين حين

قال: إنه رآه. ولم يقل: بعَيْني رأسه. ولفظُ أحمد كلفظ ابن عبَّاس، ويدلُّ علىٰ صحَّة ما قال شيخُنا في معنىٰ حديث أبي ذر قولُه ﷺ في الحديث الآخر: «**حِجَابُهُ النُّورُ**». فهذا النور هو -والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذرٍّ: «**رَأَيْتُ نُورًا**» "[1].][2].

(١) "اجتماع الجيوش الإسلامية" (٢/ ٤٦-٤٩)، وانظر: "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٥٠٧-٥٠٨)، و"منهاج السنة" لشيخ الإسلام (٥/ ٣٨٦- ٣٨٧).

(٢) انظر "الابتهاج" (ص ٤٩٩-٥٠٥).

١٢- بَابٌ فِي قَوْلِهِ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ»، وَفِي قَوْلِهِ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٧٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ** عز وجل **لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **النَّارُ**- **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَلَمْ يَقُلْ: حَدَّثَنَا.

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٤): "وَأَمَّا الْحِجَابُ فَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ وَالسَّتْرُ، وَحَقِيقَةُ الْحِجَابِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَجْسَامِ الْمَحْدُودَةِ واللهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ وَالْحَدِّ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَتِهِ؛ وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِعُ نُورًا أَوْ نَارًا لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ فِي الْعَادَةِ لِشُعَاعِهِمَا، وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ: الذَّاتُ. وَالْمُرَادُ بِـ«**مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»: جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ بَصَرَهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، وَلَفْظَةُ «مِنْ» لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَوْ أَزَالَ الْمَانِعَ مِنْ رُؤْيَتِهِ وَهُوَ الْحِجَابُ الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا وَتَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَقَ جَلَالُ ذَاتِهِ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ".اهـ

[أورد المصنف في هذا الباب حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». وهذا الحديث فيه دليلٌ علىٰ عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتنزُّهه عن النقائص؛ فإن النوم نقصٌ ومن صفات المخلوقين، والله الخالق العظيم جَلَّ جَلَالُهُ يتنزَّه عن ذلك؛ ولذلك قال: «**وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**». يعني: لا يجوز عليه، ولا يمكن منه، وإطلاقُ عبارة «لَا يَنْبَغِي» في القرآن وفي السنة وفي اصطلاح السلف، يرادُ منها أنه لا يمكن، فهو من المستحيلات وما شابهها؛ لأن الناس يطلقون «لا ينبغي» فيما لا يحسُن، وهذه الصفة نفىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه النقص، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فتعالىٰ وتقدَّس أن تأخذه السِّنَة والنوم، والله علىٰ كل شيء حفيظ، يحفظ السموات والأرض ومن فيهن، فلا يمكن أن ينام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتنزَّه عن ذلك.

والمسألة الثانية: «**يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ**». يعني: العدل، والقسط الميزان؛ لأنه هو العدل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يظلم مثقال ذرَّةٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فهذا في أعمال العباد، فهي موزونة ومحدودة عنده، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

قوله: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ**». يعني: العمل الذي يعمله الناس في الليل من خير وشر ترفعه الملائكة الكتبة الحافظون، يرفعونها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

وكما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتابة الأعمال في الكتاب والسنة، من عمل خيرًا كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له، وضاعفه أضعافًا كثيرة، ويجازي علىٰ السيِّئة بمثلها، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بسيِّئة، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ:٤٠]، قال: «**وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ**» فالذي يعمله العباد في النهار ترفعه الملائكة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل عمل الليل.

قوله: «**حِجَابُهُ النُّورُ**» هذا الشاهد، قال مسلم: -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «**النَّارُ**- **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». فالله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تعالت عظمتُه وجلَّت قدرتُه، احتجب عن خلقه بهذا الحجاب، وورد في آثار أخر: "حجب من ظلمات ومن نور ومن نار"[1]، ولحكمة منه عَزَّوَجَلَّ ورحمة منه بمخلوقاته في السموات والأرض؛ لو كشف هذا الحجاب، وهو من نور أو من نار، لحصل هذا الذي ذكره، وهو أن يحترق كلُّ ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، من أعلىٰ السموات إلى أسفل الأرضين، وهذا يدلُّ علىٰ عظمة نوره وجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنؤمن بأن لله حجابًا، وأن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجهًا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نقصَ في ذلك، بل ذلك والله هو الكمال، وهناك من يعطِّل هذه الصفة وغيرها من الصفات، صفة الوجه، بتعليلات وسفسطات باردة، وهم يزعمون أنهم ينزِّهون الله عن الصفة؛ لأن إثبات الوجه يقتضي التركيب ويقتضي التجسيم! والجهمية ينفون الأسماء والصفات، كما يزعمون تنزيهًا لله عَزَّوَجَلَّ عن تشبيهه بالخلق، فعطَّلوه من

---

(١) روىٰ الدارمي في "الرد علىٰ الجهمية" (١١٨)، وفي "النقض علىٰ المريسي" (٢/ ٧٤٨ و٧٦١)، وابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (٢٢٩)، وأبو الشيخ في "العظمة" (٢/ ٦٧٥)، وابن أبي زمنين في "أصول السنة" (٤٢)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣٤٩)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٧٢٩)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٦٩٣): عنِ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَارٍ وَظُلْمَةٍ وَنُورٍ وَظُلْمَةٍ**». قال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. وصحح إسناده محقق "أصول السنة" لابن أبي زمنين.

وقد وردت أحاديث وآثار أخرىٰ، انظرها في: "نقض الدارمي علىٰ المريسي" (٢/ ٧٤٨-٧٦٧)، و"أصول السنة" لابن أبي زمنين (ص١٠٤-١٠٨)، و"العظمة" لأبي الشيخ (٢/ ٦٦٧-٧٢٠).

صفات كماله ونعوت جلاله، وجاء المتكلِّمون من الأشاعرة وغيرهم علىٰ تفاوت بينهم، كالمعتزلة يثبتون الأسماء، ولكن لا معاني لها عندهم، ويعطِّلون الصفات ويقولون: عليمٌ بدون علم، وسميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بدون بصر. وينكرون الوجه من باب أولىٰ، وجاء بعضُ المتكلمين من الأشاعرة، وأثبتوا بعض الصفات كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وعطَّلوا صفات الله الفعلية؛ كالنزول والمجيء والاستواء، وعطَّلوا عن الله الصفات الذاتية؛ كالوجه واليدين، وتعالىٰ الله عمَّا يقولون، فالذات عندهم لا وجه لها، ولا تفعل شيئًا، ولا تنزل، ولا تتحرك، فهذه ذاتٌ ميِّتة، والله فعَّالٌ لما يريد، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتنزَّه عما يقولون.

وفي "شرح النووي" حصلت تأويلاتٌ للوجه وللحجاب، وما يتعلق بهما، وأحبُّ أن أعلِّق علىٰ هذا الكلام، قال الشارح -وهو النوويُّ-: "فَالسُّبُحَات بِضَمِّ السِّين وَالْبَاء وَرَفْع التَّاء فِي آخِره، وَهِيَ جَمْع سُبْحَة، قَالَ صَاحِب الْعَيْن وَالْهَرَوِيّ وَجَمِيع الشَّارِحِينَ لِلْحَدِيثِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ: مَعْنَىٰ «سُبُحَاتُ وَجْهه» نُورُه وَجَلَالُه وَبَهَاؤُهُ، وَأَمَّا الْحِجَاب فَأَصْله فِي اللُّغَة الْمَنْع وَالسَّتْر، وَحَقِيقَة الْحِجَاب إِنَّمَا تَكُون لِلْأَجْسَام الْمَحْدُودَة، وَاللَّه مُنَزَّه عَنِ الْجِسْم وَالْحَدّ، وَالْمُرَاد هُنَا الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِع نُورًا أَوْ نَارًا؛ لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاك فِي الْعَادَة لِشُعَاعِهِمَا، وَالْمُرَاد بِالْوَجْهِ الذَّات،

وَالْمُرَاد بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَره مِنْ خَلْقه: جَمِيع الْمَخْلُوقَات؛ لِأَنَّ بَصَره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَات، وَلَفْظَة «مِنْ» لِبَيَانِ الْجِنْس، لَا لِلتَّبْعِيضِ، وَالتَّقْدِير: لَوْ أَزَالَ الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته وَهُوَ الْحِجَاب الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا، وَتَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَق جَلَال ذَاته جَمِيع مَخْلُوقَاته، وَاللَّه أَعْلَم"[1]. وعلىٰ هذا الكلام مآخذُ أو ملاحظات:

الأولى: علىٰ قوله: "وَحَقِيقَة الْحِجَاب إِنَّمَا تَكُون لِلْأَجْسَامِ الْمَحْدُودَة، وَاللَّه مُنَزَّه عَنِ الْجِسْم وَالْحَدّ". فنقول: الجسم لفظ مجملٌ، يحتمل حقًّا وباطلًا، ولم يرد في القرآن ولا في السنة نفيُه ولا إثباته، وعلىٰ المسلم أن يلتزم منهج الكتاب والسنَّة في الألفاظ، ولاسيما في هذا الباب باب أسماء الله وصفاته؛ فالله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

فنفىٰ عن نفسه المشابهة والمماثلة، فلا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يشبهه شيءٌ من مخلوقاته جَلَّ وَعَلَا، وأثبت لنفسه سمعًا وبصرًا، فنحن نؤمن بأنَّ لِلَّه ذاتًا تليق بجلاله وكماله، وله صفاتٌ تليق بذاته وجلاله وكماله، منها العلم والقدرة والإرادة إلى آخر الصفات التي وصف بها نفسه المقدَّسة، ومنها الوجه واليدان، ومنها علوُّه علىٰ خلقه مستويًا علىٰ عرشه، ومنها نزولُه كلَّ ليلة

---

(١) "شرح مسلم" (٣/ ١٣-١٤).

إلى السماء الدنيا، ومجيئُه يوم القيامة، وكلُّ هذه صفاتٌ لذاته المقدسة، والله قد ذكر في القرآن أن له حجابًا، فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

والحجاب هو الساتر بين الشيئين، وفي هذا الحديث: «**حِجَابُهُ النُّورُ** -أَوِ **النَّارُ**-»، فقد بيَّن رسول الله ﷺ الذي وكل الله إليه بيان القرآن أن حجاب ربِّنا هو النور أو النار، ولو كان في هذا محظورٌ لما قاله الله، ولما قاله رسولُه ﷺ، بل هذا يدلُّ علىٰ عظمة ربِّنا وعزَّته وجلاله، فنؤمن بما أخبرنا به ربُّنا، وأخبرنا به رسولُه، ولا نتقحَّم مثل هذه التأويلات الباطلة، ويُفهم من قول النووي: "وَالْمُرَاد هُنَا الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِع نُورًا أَوْ نَارًا؛ لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاك فِي الْعَادَة لِشُعَاعِهِمَا"، أن هذا المانع عنده أمرٌ معنوي، سُمِّي نورًا أو نارًا من باب المجاز، ولا داعي ولا ضرورة أبدًا لهذا التأويل، فما المانع من أن يكون هذا الحجاب نورًا أو نارًا، وما أدرىٰ المتكلِّم من المعطِّلين أن الحجاب لا يكون إلا للأجسام التي عطَّلوا بتخيُّلها كثيرًا من صفات العظمة لله، فإذا كنَّا نؤمن بأن لله ذاتًا تليق بجلاله لا تشبه ذوات المخلوقين، وله صفاتٍ لا تشبه صفات المخلوقين، وله أفعالًا لا تشبه أفعال المخلوقين، فما المانع لإلهنا وربِّنا الذي هذا شأنُه أن يجعل للذات المقدسة الموصوفة بكل كمال وجلال حجابًا، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما

انتهىٰ إليه بصرُه من خلقه، كما قال ذلك رسولُه الأمين الذي علَّمنا إجلال الله وإعظامه وتنزيهه عن كل النقائص، ولو كان في هذا شيء من النقص لما قاله ﷺ، والله إن ما قاله لحقٌّ، وإن ما قاله لمن أعظم البراهين علىٰ جلال الله، وعلىٰ عظمته، وعلىٰ تعظيم هذا الرسول لربِّه ذي الجلال والكمال والعظمة.

الثانية: أن النوويَّ إنما سار علىٰ مذهب المتكلِّمين الذين يقولون: "إن الله تعالىٰ في كل مكان، ولا يخلو منه مكان"، مع الأسف، وهذا قولٌ باطلٌ، يقتضي -شاؤوا أم أبوا- أن الله مختلط بخلقه، ثم إنَّ قَصْدَ المعطِّلةِ والمتكلِّمين من نفي الجسمية عن الله تعطيله من صفاته، كما هو حال الجهمية والمعتزلة، أو من بعضها، كما هو حال الأشعرية والماتريدية الذين يؤولون الاستواء والعلو والنزول والمجيء والرضا والغضب والوجه واليدين والقَدم، ومن هذا ما تراه في هذا المقطع من كلام النوويِّ، فهذا هو المراد من نفي الجسمية عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأهلُ السنة لا يثبتون الجسمية ولا ينفونها؛ لأنها لم ترد في كتاب الله ولا في السنَّة، ولما في نفيها من المحاذير التي أدَّت بالمولَعين بها إلى تعطيل الله من صفات كماله، ومن هنا ذمَّ السلفُ أهلَ الكلام، وأنكروا عليهم، وجعلوهم من أهل الباطل.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ خلال مناقشته لمن يطلق مثل هذه الألفاظ المبتدعة: "فيقال: أولًا لفظُ الجسم والحيِّز والجهة ألفاظٌ فيها إجمالُ

وإبهامٌ، وهي ألفاظٌ اصطلاحية، وقد يراد بها معانٍ متنوعة، ولم يرد الكتاب والسنة بهذه الألفاظ لا بنفي ولا إثبات، ولا جاء عن أحد من السلف وأئمَّتهم فيها نفيٌ ولا إثباتٌ أصلًا، فالمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا من إجماع، بل ولا أثر لا عن صاحب أو تابع ولا إمام من المسلمين، بل الأئمَّة الكبار أنكروا علىٰ المتكلِّمين بها، وجعلوهم من أهل الكلام الباطل والمبتدع، وقالوا فيهم أقوالًا غليظة معروفة عن الأئمَّة، كقول الشافعي رحمه الله: (حكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام)"[١].

الثالثة: علىٰ قوله: "اللَّه منزَّهٌ عن الجسم والحدِّ". تقدَّم الكلام علىٰ ما يتعلَّق بنفي الجسم أو إثباته، أما الحدُّ، فقد ورد عن الإمام أحمد نفيُه عن صفات الله عمومًا، ولكن مقصده بذلك غير مقصد الجهمية، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله موضِّحًا قصد الإمام أحمد من نفي الحدِّ: "وقوله: "بلا حدٍّ ولا صفة يبلغها واصف أو يحدُّه أحدٌ". نفىٰ به إحاطة علم الخلق به، وأن يحدُّوه أو يصفوه علىٰ ما هو عليه، إلا بما أخبر عن نفسه؛ ليبيِّن أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته، كما قال الشافعيُّ في خطبته للرسالة: "الحمد لله

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٥/ ٢٩٨).

الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقُه". ولهذا قال أحمد: "لا تدركه الأبصار بحدٍّ ولا غاية".".

ثم نقل شيخ الإسلام عن الإمام أحمد وابن المبارك وإسحاق بن راهويه بالأسانيد الصحيحة أنهم يُثبتون الحد لله[(١)]، وقصدُهم بذلك الردُّ علىٰ الجهمية الذين يقولون: "إن الله في كل مكان". قال الإمامُ عثمانُ بنُ سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللهُ مخاطبًا الجهمية بعد أن ساق الحجج والبراهين من كتاب الله علىٰ إثبات علوِّ الله عَزَّوَجَلَّ: "تزعمون أن إلهكم الذي تعبدون في كل مكان، واقعٌ في كل شيء، لا حدَّ له، ولا منتهىٰ عندكم، ولا يخلو منه مكانٌ بزعمكم، ثم قلتم: إنما يوصف بالنزول مَن هو في مكان دون مكان، فأمَّا من هو في كل مكان، فكيف ينزل إلى مكان ؟!".

ثم أخذ في الردِّ عليهم، ثم قال: "حدثنا الحسن بن الصبَّاح البزار البغدادي، حدثنا علي بنُ الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك أنه سئل: بما نعرف ربَّنا؟ قال: بأنه فوق العرش، فوق السماء السابعة، علىٰ العرش بائنٌ من خلقه. قال: قلت: بحدٍّ؟ قال: فبأيِّ شيء ؟!". ثم ساق الحجج بتأييد قول ابن المبارك.

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٣٣-٣٤).

وكرَّر الدارمي ذكر الحدِّ، يعني أن الله فوق سماواته مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، من غير تشبيه ولا تمثيل، انظر كتابه "الرد علىٰ الجهمية" (ص٩٧-١٠٢).

ونقل شيخ الإسلام عن الدارمي أنه قال: "وقد اتفقت كلمةُ المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتىٰ الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك"، "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٥٩).

ثم وجدت هذا الكلام في "نقد الإمام أبي سعيد الدارمي" (١/ ٢٢٨)، وكان قد قال قبله في (٢٢٨ من هذا الجزء): "وادَّعىٰ المعارض أيضًا أنه ليس لله حدٌّ ولا غايةٌ ولا نهايةٌ، وهذا هو الأصلُ الذي بنىٰ عليه جهمٌ جميع ضلالته، واشتق منها أُغلوطاته، وهي كلمةٌ لم يبلغنا أنه سبق جهمًا إليها أحدٌ من العالمين".

هذا وقد نقل كلام الإمام عبد الله بن المبارك عبدُ الله بنُ أحمد في "السنة" (١/ ١٧٥)، وابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (٣/ ١٥٧-١٥٩)، كما نقل ذلك عن الإمام أحمد، ونقله ابنُ عبد البر في "التمهيد" (٧/ ١٤٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ٣٣٥)، كلُّهم مُقرُّون بكلام ابن المبارك.

قال البيهقي -عقب رواية كلام ابن المبارك (ص٣٣٦)-: "إنما أراد عبد الله بالحد حدَّ السمع، وهو أن خبر الصادق ورد بأنه علىٰ العرش استوىٰ،

فهو علىٰ العرش كما أخبر، وقصد بذلك تكذيب الجهمية فيما زعموا أنه بكل مكان، وحكايتُه الأخرىٰ تدلُّ علىٰ مراده".

ونقل الإمام ابنُ أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية" (ص١٧٨-المكتب الإسلامي، ط: الثالثة) كلام الإمام ابن المبارك هذا، مقرِّرًا له، ثم قال: "ومن المعلوم أن الحدَّ يقال علىٰ ما ينفصل به الشيءُ ويتميز به عن غيره، والله تعالىٰ غيرُ حالّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيُّوم والقائم بنفسه، المُقيم لما سواه، فالحدُّ بهذا المعنىٰ لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا؛ فإنه ليس وراء نفيه إلا نفيُ وجود الرب، ونفيُ حقيقته، وأمَّا الحد بمعنىٰ العلم والقول، وهو أن يحدَّه العباد فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السنة".

الملاحظة الرابعة: علىٰ قوله: "وَالْمُرَاد بِالْوَجْهِ الذَّات".

أقولُ: في هذا القول تعطيلٌ لصفة الوجه، جريًا علىٰ طريقة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة أو غلاة الأشاعرة، في تعطيل هذه الصفة الكريمة، وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة، ومنها صفة الوجه، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. فذكر الوجه، ووصفه بأنه ذو الجلال والإكرام، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٩]، والآيات والأحاديث في إثبات

هذه الصفة الكريمة كثيرة.

قال البيهقي في كتاب "الاعتقاد" (ص٨٨): "باب: ذكر آيات وأخبار في إثبات صفة الوجه واليدين والعين، وهذه صفاتٌ طريق إثباتها السمع، فنثبتها لورود خبر الصادق بها، ولا نكيِّفها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. فأضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلىٰ الوجه فقال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾. فعلمنا أنه نعتٌ للوجه، وهو صفة للذات".

وقد سبق البيهقيَّ إلى إثبات الوجه من الأشاعرة الإمامُ أبو الحسن الأشعري في كتاب "الإبانة" (ص١٢٩)، حيث قال: "الباب الثامن: الكلام في الوجه والعين والبصر واليدين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فأخبر أن له وجهًا لا يفنىٰ، ولا يلحقه الهلاك، ونَفَت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارىٰ؛ لأن النصارىٰ لم تثبت الله سميعًا بصيرًا إلا علىٰ معنىٰ أنه عالم، وكذلك قالت الجهمية".

ثم ساق الأدلة علىٰ إثبات العين والبصر واليدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: "فمن سألنا فقال: أتقولون: إن لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجهًا؟ فنقول له: نقول ذلك، خلافًا لما قاله المبتدعون، وقد دلَّ علىٰ ذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]".

أقول: والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، وقد أثبت هذه الصفات وغيرها أئمَّةُ الإسلام من السابقين واللاحقين، من مفسِّرين ومحدثين وفقهاء، فليت النوويَّ تأسَّىٰ بهم، وجانب سُبل أهل الضلال والبدع، وممَّن وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالوجه بمقتضىٰ القرآن والسنة ابنُ فُورَك، حيث قال في كتابه "مشكل الحديث وبيانه" (ص١٧٢)، قال: «اعلم أن إطلاق وصف الله عَزَّوَجَلَّ بأن له وجهًا قد ورد به نصُّ الكتاب والسنة، وذلك من الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة النقل، ولو لم يرد بذلك خبرٌ لم يجُز إطلاقه؛ إذ لا دلالة من جهة العقول تقتضي ذلك فتوجبه، وذهبت المعتزلة في تأويل ذلك إلى أن معناه أنه هو، وأن وجه الشيء قد يكون نفسَه، وقد تأوَّلوا قولَه تعالىٰ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي: فثمَّ الله، وأن وجه الله هو الله، وشبَّهوا ذلك بقولهم: وجه الحائط، ووجه الثوب، ووجه الأمر، وهذا عندنا خطأ؛ لأن القول به يؤدي إلى جواز القول بأن الله عَزَّوَجَلَّ وجهٌ، وأنه يجوز أن يُدعىٰ به، فيقال: يا وجه، اغفر لنا. وقد أجمعت الأمة علىٰ المنع من ذلك، وذهب أصحابُنا إلى أن الله عَزَّوَجَلَّ ذو وجه، وأن الوجه صفةٌ من صفاته القائمة بذاته". انتهىٰ.

والملاحظة الخامسة: علىٰ قوله: "وَالتَّقْدِير: لَوْ أَزَالَ الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته وَهُوَ الْحِجَاب الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا، وَتَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَقَ جَلَال ذَاته جَمِيع

مَخْلُوقَاته".

ففيه أنه لا يعتقد أن الحجاب نور أو نار؛ ولهذا يقول: " الْمَانِع مِنْ رُؤْيَته وَهُوَ الْحِجَاب الْمُسَمَّىٰ نُورًا أَوْ نَارًا"، أمَّا الرسول ﷺ فقد سمَّاه حجابًا، وسماه نورًا، ولا مانع عقلًا ولا شرعًا من أن يكون لله حجاب، أو حُجب من نور، ولا يقتضي ذلك نقصًا في حق الله تعالىٰ، فنتمحَّل له التأويلات الباطلة.

وفي قوله: "لَوَ تَجَلَّىٰ لِخَلْقِهِ لَأَحْرَقَ جَلَال ذَاتِه جَمِيعَ مَخْلُوقَاته". ففيه تكرارٌ لإنكار صفة الوجه، حيث أسند الإحراق والجلال إلى الذات، وهي والله كذلك، ونحن لا نحصي ثناء علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وكما نعظِّم ذاته نعظِّمُ صفاته، وتعظيمُ صفاته من تعظيمه، ومنها علمُه وقدرتُه وإرادتُه وسمعُه وبصرُه، فكما نؤمن بأن له علمًا وقدرة وإرادة، ونرىٰ أنها من صفات الله، وننكر علىٰ من يتأوَّلها فيقول: عليمٌ بذاته بدون علم، وسميع بذاته بدون سمع... إلخ.

نقول: له وجهٌ يليق بذاته، ووجهُه يوصف بالجلال والإكرام والنور والبصر، الذي لو كشف الحجاب عنه لأحرقت سُبُحاته ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلق الله، كما أخبر بذلك أصدقُ البشر، وأعلمُهم بالله، وأنصحهم للخلق، رسولُ الله ﷺ، ومن الخطورة بمكان معارضةُ كلامه ﷺ بمثل هذه التأويلات المتعسّفة الباطلة.

قلت: وهذا الحديث يفسِّر حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالنور الذي ذكره الرسولُ

ﷺ في حديثه لم يسمِّه حجابًا، وهذا النور الذي منعه من الرؤية، ولكن صرَّح بهذا الحجاب في حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: «**حِجَابُهُ النُّورُ**». فهذه الرواية تفسِّر حديث أبي ذر رضي الله عنه.

قال مسلم: وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: «**النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». والنَّار هنا بمعنىٰ النور؛ لأن في كلٍّ إشراق وإضاءة، فصعب علىٰ الرسول ﷺ رؤية الله بسبب هذا الحجاب، وقد ورد أن هناك حُجبًا كثيرة، حُجُبٌ من نور، وحُجُبٌ من ظلمة، لكني غير متأكِّد من صحَّتها.

الشاهد: أن من يدَّعي أن الرسول ﷺ رأىٰ ربَّه، وبَنَوْا ذلك علىٰ حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، فابنُ عبَّاس الذي صحَّ عنه أن الرسول ﷺ رآه بقلبه، ويصحُّ هذا الكلام، لكن لا نجعله تفسيرًا لآيات «النجم»: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨].(١)

(١) انظر "الابتهاج" (ص٥١١ – ٥٢٢).

١٣- بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(١٨٠) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، وَأَبُو غَسَّانَ الْمَسْمَعِيُّ، وَإِسْحَاقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في (٣/ ١٥): "وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة، وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلىٰ ذكرها هنا".

أقول: أولاً: أين أئمة الحديث والسنة الذين تصدوا لهذه الفرق ودحضوا

فعلًا أباطيلهم بنصوص الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة وألفوا في ذلك الكتب الخاصة بالرؤية فضلًا عن كتب العقائد التي فيها دحض لكل أنواع الضلال، وفيها إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة والرد علىٰ منكريها؟.

فكم جنىٰ المتكلمون علىٰ نصوص الكتاب والسنة؟

وكم جنوا علىٰ أهل السنة والحديث؟

ثانيًا: هناك ملاحظة علىٰ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه علىٰ أحاديث رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة في (٣/ ١٥-١٦) حيث:

"إن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنة عقلًا، وأجمعوا علىٰ وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَىٰ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ رُؤْيَتَهُ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خَطَأٌ صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَوَاهَا نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَآيَاتُ الْقُرْآنِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ".

أقول: إلىٰ هنا كلامه حقٌّ، لكنه مع الأسف قال بعد هذا الكلام: "ثُمَّ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ قُوَّةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا اتِّصَالُ الْأَشِعَّةِ وَلَا مُقَابَلَةُ الْمَرْئِيِّ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ، لَكِنْ جَرَتِ الْعَادَةُ فِي رُؤْيَةِ

بَعْضِنَا بَعْضًا بِوُجُودِ ذَلِكَ عَلَىٰ جِهَةِ الِاتِّفَاقِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الِاشْتِرَاطِ، وَقَدْ قَرَّرَ أَئِمَّتُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ الْجَلِيَّةِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ إِثْبَاتُ جِهَةٍ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ لَا فِي جِهَةٍ كَمَا يَعْلَمُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

أقول: ليته اقتصر علىٰ الكلام الأول الذي نسبه إلى أهل السنة والجماعة، ولنا مآخذ علىٰ هذا الكلام العجيب:

أولاً: أنه حكىٰ إجماع أهل السنة، بل إجماع الصحابة، وتظاهر الأدلَّة من الكتاب والسنَّة علىٰ إثبات أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة.

فهل إجماعُ الصحابة والسلف علىٰ إثبات هذه الرؤية، علىٰ هذه الصورة الخيالية التي زعمها النوويُّ "أن الرؤية قوةٌ يجعلها الله في خلقه، ولا يُشترط فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي، ولا غير ذلك"؟!.

فهل هناك دليلٌ واحدٌ من الأدلَّة الكثيرة المتظاهرة صرَّح بذلك، أو يدلُّ عليه من قريب أو بعيد؟ وهل قال ذلك أحدٌ من الصحابة الذين أجمعوا علىٰ وقوع هذه الرؤية، ورووا أحاديثها، وفسَّروا آياتها، أو أحدٌ من أهل السنة من التابعين وأئمة الهدىٰ الذين رووا هذه الأحاديث -أحاديث الرؤية- وفسروا آياتها؟! لم يجد النووي شيئًا من هذا، ولن يجده، لا هو ولا غيرُه، وأيُّ دليل علىٰ ما ادَّعىٰ؟! ولذا لجأ إلى قوله: "وقد قرَّر أئمَّتنا المتكلِّمون ذلك بدلائله الجليَّة".

أمَا عَلِمَ النوويُّ طعون السلف وأئمَّتهم في أهل الكلام الذي امتلأت به كتب أهل السنة؟ ألا يعلم تحذير السلف من الكلام، وإجماعهم علىٰ ذلك، ومن ذلك قولُ الإمام الشافعي المشهور: "لَأَنْ يَبْتَلِيَ اللَّهُ الْمَرْءَ بِكُلِّ ذَنْبٍ نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهُ مَا عَدَا الشِّرْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ".[(١)]

وقوله: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، وأخذ بعلم الكلام"؟![(٢)]

أما قرأ النوويُّ "ذم الكلام" للهروي، الذي امتلأ بذم أهل الكلام، وبيان فساد عقائدهم ومناهجهم ؟! إن هذه الحرب علىٰ الكلام وأهله؛ من أجل هذا التحريف للنصوص القرآنية والنبويَّة، ومخالفاتهم الشنيعة لما كان عليه أصحاب محمد ﷺ، ومخالفة مَن تبعهم بإحسان من سلف هذه الأمة، فما هي هذه القوَّة، وأين موضعُها من جسد ابن آدم؟

أمَّا القرآنُ فقد أسند الرؤية إلى الوجوه الناضرة، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" (ص١٣٧)، وابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (٦٦١)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٩/ ١١١)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٣٠٠)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٧٨٩-الزهيري).

(٢) رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٩/ ١١٦)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١٧٩٤).

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] أي: بالعيون التي جعلها الله في الوجوه، والصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الرؤية المعهودة، فيقولون: هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فيجيبهم رسولُ الله ﷺ إجابة واضحة جليَّة، بقوله: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ** ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: **مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**».

وقد شرح النوويُّ قوله: «**لَا تُضَارُّونَ**» و«**لَا تضَامون**»، ثم قال: "وفي رواية البخاري «**لَا تضامُّون**» أو«**لَا تُضَارُّونَ**» علىٰ الشك، ومعناه: لا يشتبه عليكم وترتابون فيه، فيعارض بعضُكم بعضًا في رؤيته"(١).

لقد شبَّه رسولُ الله ﷺ في هذا الحديث وغيره رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة برؤيتهم الشمس واضحة جلية في الظهيرة، صحوًا ليس معها سحاب، إن الرؤية التي أثبتتها النصوصُ -نصوص الكتاب والسنة-، وأجمع عليها الصحابةُ وسلفُ الأمة الصالح، لا يؤمن بها المتكلِّمون ومَن تابعهم، وإنما يؤمنون بأمر خيالي، لم يأت به الشرع، ولا يقبله عقلٌ.

---

(١) (١٨/٣).

ثانيًا: علىٰ قوله: (ولا يشترط فيها اتصالُ الأشعة، ولا مقابلة المرئيِّ، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك علىٰ جهة الاتفاق، لا علىٰ سبيل الاشتراط).

وأقول: لا داعي لهذا الكلام الخيالي، ولا دليل عليه، فمن حكمة الله وسننه أن خلق للإنس والجن والحيوانات أعضاءً، وجعل لكل عضو وظيفة، فالعين للرؤية في كل الاتجاهات: (فوق، تحت، يمين، وشمال)، والرجل للمشي، واليدين للبطش، هذه السنن من سنن الله، ومعها علمُه وحكمتُه، وليست بالاتفاق، وليست الرؤية ولا غيرها ناشئة عن التعوُّد حتىٰ صارت عادة، فمن سُنن الله أن الأعمىٰ لا يرىٰ، ولو بذل ما بذل من التعوُّد، فلا يمكن أن يصبح بصيرًا يرىٰ بفضل ذلك التعوُّد، ولو أنفق ما في الأرض جميعًا ما حصل له ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۞ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩- ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨].

هذه الأمور والتفاوت بينها حاصلةٌ بسنَّة الله وحكمته في خلقه، فلا تحصل بالاتفاق الذي هو المصادفة، ولا بالتعوُّد حتىٰ تصير عادةً، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسند النظر إلى الوجوه التي فيها العيون، والرسول ﷺ شبَّه رؤية

المؤمنين ربَّهم في الآخرة برؤيتهم للشمس والقمر في غاية جلائهما، وهما في السماء فوقهم، وهم لا يرون ربَّهم إلا مِن فوقهم، هذه الفوقية والعلوُّ التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة، ودان بها سلفُ الأمة.

ثالثًا: قوله: "وقد قرَّر أئمَّتُنا المتكلِّمون ذلك بدلائله الجليَّة، ولا يلزم من رؤية الله تعالىٰ إثباتُ جهة لله تعالىٰ -تعالىٰ الله عن ذلك-، فيراه المؤمنون لا في جهة، كما يعلمونه لا في جهة، والله أعلم".

وفي هذا الكلام إنكارٌ لعلوِّ الله علىٰ خلقه، وكونه علىٰ عرشه، فكيف يتابعهم النوويُّ ويقتدي بباطلهم؟!.

وقد تقدَّم ذكرُ موقف أهل السنة وأئمتهم من أهل الكلام الذين يحسن الظنَّ بهم النووي، ويرىٰ أنهم أئمَّته، ولو لزم غرز السلف لكان خيرًا له بما لا يقاس، أيُّ قيمة لسفسطات المتكلمين المعارضة للكتاب والسنة، التي تجاوزت المئين علىٰ إثبات علوِّ الله علىٰ خلقه، وأنه علىٰ العرش استوىٰ، وأنه في السماء، وأنه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وأن الملائكة يخافون ربَّهم من فوقهم، وأنه يعرج الملائكة والروح إليه، وأن المؤمنين يرونه مِن فوقهم.

رابعًا: إن لفظ الجهة في حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يرد في الكتاب والسنة إثباتها ولا نفيُها، وإنما ورد لفظُ الفوقية والعلوّ، والله في السماء، وأنه علىٰ العرش

استوىٰ، والعرشُ سقف الجنة، وفوق السموات جميعًا، والله فوق ذلك، فهذا الذي يؤمن الصحابةُ وأهلُ السنة به، وهذا ما عبَّر عنه الأوزاعي بقوله: (كُنَّا -وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ- نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- فَوْقَ عَرْشِهِ. وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا)[1].

أمَّا لفظُ (الجهة) فقد جاء به المتكلِّمون من الجهمية وغيرهم؛ لترويج إنكارهم لعلوِّ الله واستوائه علىٰ عرشه، وإنكار رؤيته، بعد تحريف النصوص الواردة.

قوله: "قال: قَالَ الْعُلَمَاء: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُخَاطِب الْعَرَب بِمَا يَفْهَمُونَهُ، وَيُقَرِّب الْكَلَام إِلَى أَفْهَامهمْ، وَيَسْتَعْمِل الِاسْتِعَارَة وَغَيْرهَا مِنْ أَنْوَاع الْمَجَاز؛ لِيُقَرِّب مُتَنَاوَلهَا؛ فَعَبَّرَ ﷺ عَنْ زَوَال الْمَانِع وَرَفْعه عَنِ الْأَبْصَار بِإِزَالَةِ الرِّدَاء".

أقول: من هم العلماءُ الذين قالوا هذا الكلام؟ أليسوا أهل البدع، ومن قلَّدهم؛ ليتوصلوا بذلك إلى تعطيل صفات الله العظيمة، الثابتة بالكتاب والسنة، والتي آمن بها الصحابةُ الكرام ومَن تبعهم بإحسان؟.

والقول الحق: أنه لا مجاز في القرآن والسنة، كما حقَّق ذلك عددٌ من أئمَّة الإسلام، ودحضوا شبه أهل البدع القائلة بالمجاز شبهة شبهة، جزاهم الله عن

---

(١) أورد ذلك البيهقي رحمه الله في كتابه: "الأسماء والصفات" (٢/ ٣٠٤رقم٨٦٥).

الإسلام والمسلمين خير الجزاء.[١]

قال ابن القيم رحمه الله في "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (١/ ٢٩٦): "الفصل العاشر: في بيان أن التأويل شر من التعطيل؛ فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها؛ فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات.

وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وانتهاكه لحرمتها وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال؛ فجمعوا بين أربعة محاذير:

اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل، ففهموا التشبيه أولا، ثم انتقلوا عنه إلى **المحذور الثاني:** وهو التعطيل، فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم ولا يليق بالرب جل جلاله.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم الكامل البيان التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد وأن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبارة في هذا الباب وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه أو

---

(١) انظر "الابتهاج" (٥٥٧-٥٦٣).

أفصح، أو أنصح للناس.

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها، فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم وقد حلت بها المثلات وتلاعبت بها أمواج التأويلات ..." إلخ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **في (٣/ ١٦): قوله: «وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»**، هذا ممَّا تأوَّله النوويُّ غفر الله له، قال: "قَالَ الْعُلَمَاء: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُخَاطِب الْعَرَب بِمَا يَفْهَمُونَهُ، وَيُقَرِّب الْكَلَام إِلَى أَفْهَامهمْ، وَيَسْتَعْمِل الِاسْتِعَارَة وَغَيْرهَا مِنْ أَنْوَاع الْمَجَاز؛ لِيُقَرِّب مُتَنَاوَلهَا؛ فَعَبَّرَ ﷺ عَنْ زَوَال الْمَانِع وَرَفْعه عَنِ الْأَبْصَار بِإِزَالَةِ الرِّدَاء".

أقول: الحق أنه لا مجاز في القرآن والسنة، كما حقق ذلك عدد من أئمة الإسلام ودحضوا شبه أهل البدع القائلين بالمجاز شبهةً شبهة، وبينوا تهافتها، راجع كتاب "الإيمان" لشيخ الإسلام ابن تيمية، و"الصواعق المرسلة" لابن القيم؛ لترىٰ قوة وعلو حجج أهل السنة، وبطلان وتهافت وتهاوي شبه أهل الباطل.

ونحن نقول: رداءُ الكبرياء هو الحجابُ؛ لأن الحديث يفسِّر بعضُه بعضًا، وهو النور، كما قال ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»، فرداءُ الكبرياء هو الحجابُ والله أعلم؛ ولهذا قال: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ**»، في نفس السياق قال: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ**»، فهذا الذي سمَّاه رداء الكبرياء هو نفسُه ما جاء في قوله ﷺ: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ**».

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ:**

أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ».

يعني: الجنان والأنهار والقصور والحور، وإلىٰ آخره، ما أُعطوا شيئًا من هذا العطاء السخيِّ أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم عَزَّوَجَلَّ، فرؤية الله هي غايةُ ما يتمنَّاه المؤمنُ ويسعىٰ في تحقيقه؛ لأنه فوق الجزاء بالجنة، وكذلك الرضا أكبرُ من الجنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فكان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ: هل يرون ربَّهم؟

فيجيبهم إجابة شافية بأنهم يرون ربَّهم، ولم يقل: نعم. وسكت، بل ذهب يضرب الأمثال ليؤكِّد أن المؤمنين حقًّا يرون ربَّهم فعلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**».

تأكيداتٌ وأمثالٌ لإثبات أن المؤمنين يرون ربَّهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والأحاديثُ كثيرةٌ في هذا الباب بلغت حدَّ التواتر(١)، والقرآن يدلُّ علىٰ ذلك؛ قال عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) "شرح مسلم" للنووي (٣/ ١٥)، و"بيان تلبيس الجهمية" (٢/ ٣٩٢)، و"مجموع الفتاوىٰ" (١٣/ ٣٥)، كلاهما لابن تيمية، و"تفسير ابن كثير" (٨/ ٢٧٩)، و"نظم المتناثر" (ص٢٣٨-٢٤٠).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

ومنها إثبات لقاء الله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، وأمثالها من الآيات في لقاء الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك أدلَّةٌ عديدة استخرجها العلماء من القرآن الكريم علىٰ إثبات أن المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة، بالإضافة إلى الأحاديث التي تواترت عن أصحاب محمد ﷺ عن نبيِّهم الكريم ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم رؤية صحيحة واقعة لا غبار عليها.

وهذا الحديث فيه من التأكيدات ما يرفع أيَّ احتمال من الاحتمالات أو أيَّ تأويل من التأويلات، التي يتأولها ويحتملها من لم يلتزموا نصوص الكتاب والسنة، واتبعوا أقوالهم الضعيفة الهزيلة.(١)

وقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَعَبَّرَ ﷺ عَنْ زَوَال الْمَانِع وَرَفْعه عَنِ الْأَبْصَار بِإِزَالَةِ الرِّدَاء".

أقول: كان الأولىٰ به السكوت، وإذا كان لابد من تفسيره أن يقول: الظاهر أن المراد به الحجاب المذكور في القرآن، والمفسر في السنة بأنه نور أو نار؛ لأن أحق ما نفسر به القرآن: القرآن والسنة.

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص٥٣٥- ٥٣٦).

وأحق ما نفسر به السنة: السنة نفسها كما قرر ذلك علماء الأمة من مفسرين وفقهاء ومحدثين.

فالصواب: أنه لا مجاز في كلام الله وكلام رسوله، وكلام رسوله يفسر بعضه بعضا كما هو مقرر لدى العلماء من فقهاء ومحدثين ومفسرين، فيفسر رداء الكبرياء هنا بالحجاب المذكور في الأحاديث السابقة وغيرها، ألا وهو النور لا بزوال المانع الذي لا نعرفه.

١٤- بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٨٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قَالُوا:

نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ،

فَيُقَدِّمُهُ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّىٰ إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا، حَتَّىٰ إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ»، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٩): "قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه**» اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات

وآيات الصفات قولين أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم: أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنىً يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.

والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين: أنها تتأول علىٰ مايليق بها علىٰ حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم؛ فعلىٰ هذا المذهب يقال في قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله**» أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه؛ لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازًا.

وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالىٰ سماه إتيانا.

وقيل: المراد بـ«**يأتيهم الله**» أي: يأتيهم بعض ملائكة الله، قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الوجه أشبه عندي بالحديث، قال: ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة علىٰ الملك والمخلوق. قال: أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي: يأتيهم بصورة ويظهر

لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين، فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة: أنا ربكم. رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم، ويستعيذون بالله منه.

وأما قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون**» فالمراد بالصورة هنا: الصفة، ومعناه: فيتجلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لهم علىٰ الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها، وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالىٰ؛ لأنهم يرونه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، وقد علموا أنه لا يشبه شيئا من مخلوقاته فيعلمون أنه ربهم فيقولون: أنت ربنا. وإنما عبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام فإنه تقدم ذكر الصورة".

١- **قول النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم: أنه لا يتكلم في معناها".

أقول: بل علم السلف معناها فأثبتوها لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الوجه اللائق بالله من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

٢- **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: "بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنىٰ يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء

وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم".

أقول: هذه الألفاظ مبتدعة والسلف لا يستجيزونها إثباتًا ولا نفيًا، وإنما يثبتون ما ورد به الكتاب والسنة وينفون عن الله ما ورد نفيه في الكتاب والسنة، وإذن فلا يجوز نسبتها إليهم لا نفيًا ولا إثباتًا.

٣- **قوله:** "والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله**» أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه؛ لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازًا".

أقول: إثبات الله ومجيئه ثابتان بالكتاب والسنة وآمن بذلك السلف الصالح، وهذه أقوالهم مدونة في إثباتهم أو تبديع وتضليل منكرهما، ولكل من الرؤية لله يوم القيامة أدلته الخاصة به، وإن هؤلاء المتكلمين لمن جملة المعطلة لصفات الله المخالفين لنصوص الكتاب والسنة التي دان بها الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان ومن سار على نهجهم من أهل الحديث والسنة.

٤- **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالىٰ سماه إتيانا. وقيل: المراد بـ«**يأتيهم الله**» أي: يأتيهم بعض ملائكة الله قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة علىٰ الملك والمخلوق قال أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي يأتيهم بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله".

أقول: هذا تأويل عجيب يتضمن إنكار فعل من أفعال الله اللائقة بجلاله، ودان بها الصحابة الكرام من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

٥- **قوله** رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: «**فلا يزال يدعو الله تعالىٰ حتىٰ يضحك الله تعالىٰ منه**» قال العلماء: ضحك الله تعالىٰ منه هو رضاه بفعل عبده ومحبته إياه وإظهار نعمته عليه وإيجابها عليه، والله أعلم".

أقول: هذا فيه إثباتُ صفة الضحك لله ربِّ العالمين، وقد تأوَّلها النوويُّ[1] بأن المراد بذلك الرضا والرحمة وإرادة الخير -مع الأسف!- وهكذا يتعامل الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم مع نصوص الوحي من الكتاب

---

(١) انظر "شرح مسلم" (٣/ ٢٤ و٤٣).

والسنة، هذا أمر غيبيٌّ، وليس فيه نقصٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل هذا من الكمال لله عَزَّوَجَلَّ، فتجدهم حينما يأتون لصفة الرضا يفسرونها بإرادة الخير والإحسان، وصفة الغضب يفسِّرونها بإرادة الانتقام، ولمَّا جاء إلى صفة الضحك أوَّلها بالرضا والرحمة وإرادة الخير، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يثبِّتنا علىٰ الحق.

والقاعدة واحدة في الصفات؛ كلها صفات الله عَزَّوَجَلَّ، الصفات الذاتية والصفات الفعلية كلُّها من باب واحد، نؤمن بها جميعًا علىٰ الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، علىٰ أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وأهلُ السنة يرون أن الله علىٰ كل شيء قدير بمقتضىٰ النصوص، وغيرهم يقول: إنه علىٰ ما يشاء قدير. وهو قديرٌ علىٰ ما يشاء وعلىٰ ما لم يشأ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالقدرة أعمُّ من المشيئة[١]، فهو يقدر علىٰ كلِّ شيء، وقد لا يفعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا لعجز، ولكن لحكمة.

وقولُه سبحانه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٩]، لا يقتضي ما يعتقدونه هم من أنه لا يقدر إلا علىٰ ما تتعلَّق به المشيئة؛ لا يفيدهم هذا، هو

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوىٰ" (١١/ ٤٨٨-٤٨٩)، و"شرح الطحاوية" (١/ ١١٧).

قادر علىٰ ما تتعلَّق به المشيئة، وما لا تتعلَّق به المشيئة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.[(١)]

فالضحك صفةٌ وفعلٌ من أفعال الله اللائقة به، والعجب من هؤلاء يأولون الرضىٰ بالإرادة، وهنا يؤلون الضحك بالرضىٰ!.

فالرسول ﷺ أثبت هذه الصفة ولم يؤلها، والصحابة والتابعون لهم بإحسان آمنوا بها ولم يؤلوها، فهل الجهمية ومن سار علىٰ نهجهم من الأشاعرة وغيرهم أكثر تعظيمًا لله من رسول الله ﷺ ومن صحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان؟! كلَّا ثم كلَّا.

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص٥٧٦).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٨٣) وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَىٰ الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ

بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ،

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، -وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]-، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الْحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ:

ادْخُلُوا الْـجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لِعِيسَىٰ بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَرَىٰ رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ؟» قُلْنَا: لَا. وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّىٰ انْقَضَىٰ آخِرُهُ وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: «لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ، فَيَقُولُونَ: «رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ» وَمَا بَعْدَهُ، فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَىٰ بْنُ حَمَّادٍ.

قال النووي رحمه الله **في** (٣/ ٣٢): قَوْله ﷺ: «**فَيَقْبِض قَبْضَة مِنْ النَّار**»، مَعْنَاهُ: يَجْمَع جَمَاعَة.

أقول: وهذا تأويلٌ باطل؛ فصفة اليد ثابتةٌ لله بالقرآن والسنة، قال تعالىٰ:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾

[الزُّمَر: ٦٧]، وهذا كمالٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس نقصًا.

سبق أن قلنا: إن حديث أبي سعيد يتَّفق مع حديث أبي هريرة في الجملة، وقد ورد فيه -أيضًا- زيادات منها: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «**يكشف عن ساق، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ**»، وقبل هذا يقول للمؤمنين: «**هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا؟**»، يعني: هل بينكم وبين الله آيةٌ تعرفونه بها، فيقولون: «**نَعَمْ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ**»، الآية: العلامة التي يعرفون بها ربَّهم عَزَّوَجَلَّ، وقد ورد عن ابن عبَّاس أنه فسَّر الآية من سورة «ن»: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢] أنه فسَّرها بالشدة.[١]

وكذلك فسرها غيره من اللُّغويين والمفسرين[٢]، وهذا وإن كان يأتي في اللغة، يعني: يأتي في الشدة، وأنه يقال: كشف عن ساق. يعني: عن شدة. لكن الساق في هذا السياق ليس إلا من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والقرينة قوله: «**هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ بِهَا؟**»، فالضمير في تعرفونه عائد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه

---

(١) رواه ابن جرير (٢٣/ ١٨٧ و١٨٨)، وابن منده في "الرد علىٰ الجهمية" (٥) و(٦)، والحاكم (٢/ ٥٤٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٨٣-١٨٥)، من طرق عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: "تفسير ابن جرير" (٢٣/ ١٨٨-١٨٩)، و"شرح مسلم" للنووي (٣/ ٢٧)، و"معالم التنزيل" للبغوي (٨/ ١٩٨)، و"مجموع فتاوىٰ" ابن تيمية (٦/ ٣٩٤)، و"تفسير ابن كثير" (٨/ ١٩٨-١٩٩).

قد جاءهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما في حديث أبي سعيد، وكما في حديث أبي هريرة: أن الله يأتيهم أوَّل مرَّة، فيستعيذون بالله منه، ثم يأتيهم ثاني مرة في الصورة التي يعرفونه بها. فقوله: «**فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**» أي: كشف عن ساقه اللائقة بجلاله، فعرفوه حينئذ وخرُّوا له سجدًا. فابنُ عبَّاس لو سمع هذا الحديث بهذا السياق لما فسَّره بالشدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولو بلغه حديث أبي سعيد لفسَّره كما عرفه غيرُه من أئمة الإسلام - بارك الله فيهم -، ولا نقول يرجع عن تفسيره الآية؛ لأن هذا مقتضىٰ اللغة، ولكن تفسير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنَّة لبيان للقرآن - مقدَّم علىٰ تفسير ابن عباس وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الشاهد: أن السياق يدلُّ علىٰ أن هذه الساق ليست الشدة، وإنما هي صفةٌ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

---

[1] انظر "الابتهاج" (٥٤٧- ٥٤٩).

١٥- بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٨٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ ابْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ. وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا. فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ؛ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ

تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا؛ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ٤٣): "قوله: قالوا: مم تضحك يارسول الله؟ قال: «**من ضحك رب العالمين**» قد قدمنا معنىٰ الضحك من الله تعالىٰ وهو الرضىٰ والرحمة وإرادة الخير لمن يشاء رحمته من عباده، والله أعلم".

أقول: انظر إذا جاءهم وصف الله بالرضىٰ أو رحمة أولوها بإرادة الخير والإحسان، وإذا جاءهم وصف الله بأنه يضحك أولوا الضحك بالرضىٰ والرحمة وإرادة الخير فعلام يدل هذا؟.

فهل كان يصعب علىٰ رسول الله ﷺ حينما سئل عن سبب ضحكه أن يقول من رضىٰ الله ورحمته بدلًا من: ضحك رب العالمين، وإذا كانت صفة الضحك تدل علىٰ التجسيم والتشبيه، أفيطلقها رسول الله ﷺ علىٰ رب العالمين؟!.[1]

---

[1] وقد تقدم الرد عليه أيضًا في (ص ٩٥).

١٦- بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٨٩) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً - إِنْ شَاءَ اللهُ - ح، وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنبَرِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، وَابْنُ أَبْجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا، أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ - قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ**

أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: «﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [السجدة: ١٧] الْآيَةَ.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في (٣/ ٤٦): "قوله ﷺ: «**فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر علىٰ قلب بشر قال ومصداقه في كتاب الله تعالىٰ**» أما: «**أردتُ**» فبضم التاء، ومعناه: اخترت واصطفيت. وأما: «**غرست كرامتهم بيدي**» إلىٰ آخره فمعناه: اصطفيتهم وتوليتهم".

أقول: قوله: «**غرست كرامتهم بيدي**» هذا فيه إثبات صفة اليد لله عَزَّوَجَلَّ، فلا أدري لماذا أغفلها الشارح؟!. بل لماذا أولها هذا التأويل الباطل؟!.

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٩١) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: «**نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا**».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ٤٨): "وأما قوله: «**فيتجلى لهم يضحك فينطلق بهم ويتبعونه**» فتقدم بيانهما في أوائل الكتاب، وكذلك تقدم قريبا معنى

الضحك، وأما التجلي فهو الظهور وإزالة المانع من الرؤية ومعنىٰ يتجلىٰ يضحك أي: يظهر وهو راض عنهم".

أقول: هذا تأويل فاسد لصفة الضحك والمجيء، وقد تقدم قبل قليل التنبية علىٰ ما يتعلق بصفة الضحك.

وأما المجيء فمن العجائب تأويله بما يصادم نصوص الكتاب والسنة، ومنها قوله الله تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

[ومنها قولُه ﷺ: «**ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ**»، فيه إثباتُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجيء يوم القيامة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله يجيء وينزل، وهذا من كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس بنقص، ولكن الجهمية وأفراخها من الأشاعرة والمعتزلة ينكرون هذه الأفعال: المجيء والنزول والغضب والرضا والضحك... إلخ، فالأفعال كالصفات التي تثبت لله عَزَّوَجَلَّ، ولا تشابه صفات المخلوقين، والأدلة الكثيرة التي ثبتت بالكتاب والسنة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، وينزل، ويجيء؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وورد بها كثيرٌ من الأحاديث، وآمن بها الصحابةُ، وآمن بها التابعون وخير الأمة، حتىٰ جاء الزنديق الجهم بن صفوان، وجاء بمبادئه الخبيثة، ومنها

تعطيلُ الصفات -والعياذ بالله-، فعطَّل وأنكر أسماء الله وصفاته، وجاء المعتزلة وأنكروا الصفات سواء الذاتية أو الفعلية؛ لأن فلسفتهم الخبيثة أن تعدُّد الصفات يستلزم تعدُّد الذوات، قبَّحهم الله! ولا يُعقل أبدًا أن تكون ذاتُ الله بصفات في زعمهم، فلا يوجد ذاتٌ مجرَّدة من الصفات إلا في خيالهم، أمَّا في الواقع فلا يوجد ذاتٌ إلا موصوفة بصفات، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته وصفاته هو ربُّ العالمين. قوله: «**فيقول: من تَنْظُرُونَ؟**» أي: تنتظرون، «**فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ**». سبق أنه في المرَّة الأولىٰ يقولون: «**نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا**»، وَفِي رواية: يَقُولُونَ: «**نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**»، «**فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**».

الشاهد: أنه فيها إثباتُ الصفات، وأنه يضحك، وهذه الصفاتُ جاءت فيها أدلَّة كثيرة من القرآن ومن السنة، فالضحك موجود في السنة، أمَّا المجيء فثبت في القرآن والسنة، قَالَ: «**فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَه**» يفعل الله ما يشاء.[١]

---

(١) انظر "الابتهاج" (ص٦٠٠ – ٦٠١).

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٩٣) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ -وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ- قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ** -وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: **فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ**- **فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا**، قَالَ: **فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو الْخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ**»، قَالَ: «**فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَىٰ ﷺ، الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ**، قَالَ: **فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَىٰ رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ**

تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْـجَنَّةَ» -قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ- قَالَ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ».

قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْـخُلُودُ».

قال النووي رحمه الله **في** (٣/ ص٥٦): "قوله: «**ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا**» قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء وقيل: أصلها الانقطاع إلىٰ من خاللت مأخوذ من الخلة وهي الحاجة؛ فسمىٰ إبراهيم صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه قَصر حاجته علىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ".

أقول: هذا القول والذي قبله باطلان؛ لأنهما دندنة حول نفي الخلة التي هي كمال المحبة؛ فالله يحب المتقين، ويحب المؤمنين ويحبونه، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، فالخُلَّة لإبراهيم عليه السلام ثابتة بالكتاب والسنة، وهي

ثابتة لرسول الله ﷺ.[1]

---

(١) يشير الشيخ إلىٰ ما أخرجه مسلم وغيره في كتاب المساجد رقم (٥٣٢) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم واللفظ لأبي بكر قال إسحاق: أخبرنا وقال أبو بكر: حدثنا زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث النجراني، قال: حدثني جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإنَّ الله تعالىٰ قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»".

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٩٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجْتَمِعُ الْـمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ**» -**أَوْ يُلْهَمُونَ ذَلِكَ**- بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: «**ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ -أَوْ أَعُودُ الرَّابِعَةَ- فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٣/ ٥٩): "قوله ﷺ: «**ثم آتيه فأقول يارب**» معنىٰ «آتيه» أي: أعود إلىٰ المقام الذي قمت فيه أولا وسألت وهو مقام الشفاعة".

أقول: لكن هذا المقام تحت العرش، والله سبحانه فوق العرش.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٩٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ إِلَّا مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْحَرْفِ بَعْدَ الْحَرْفِ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ**

مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ

يَفْتَحُهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (٣/ ٦٨-٦٩) -متأوِّلًا لهذه الصفة: صفة الغضب، في قوله: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»-: "المراد بغضب الله تعالىٰ ما يظهر من انتقامه ممن عصاه، وما يرونه من أليم عذابه، وما يشاهده أهلُ المجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها، ولا شك أن هذا كله لم يتقدَّم قبل ذلك اليوم مثله، ولا يكون بعده مثله، وهذا معنىٰ غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما أن رضاه ظهورُ رحمته ولطفه، لمن أراد به الخير والكرامة؛ لأن الله يستحيل في حقه التغيُّر في الغضب والرضا، والله أعلم".

أقول: الغضب صفة من صفات الله اللائقة بجلاله، وهي من الصفات الدالة علىٰ كماله وعدمها نقص يتعالىٰ الله عنه، فالكفار بأصنافهم لا يغضبون من الشرك والفواحش، وكذلك الحيوانات والجمادات لا توصف بالرضىٰ والغضب، فهل هذا من كمال هذه الأصناف؟.

وإذن لا يجوز تأويل هذه الصفة بمخلوقات الله تعالىٰ من أليم العذاب، وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال.

ويُسأل: هل الأنبياء الذين قالوا: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**» كانوا يعتقدون أن الله منزه عن صفة الغضب، ثم وصفوه بها ومع هذا كانوا علىٰ عقيدة الجهمية، ومن سار علىٰ نهجهم في تعطيل الله من صفات كماله؟

وهل كان رسول الله ﷺ، وأصحابه علىٰ هذا الاعتقاد الذي تقول به الجهمية، ثم يروون هذه الأحاديث للعرب والعجم وغيرهم في مختلف البلدان لا يحذرون من اعتقاد ما تدل عليه في الصفات، ولا يؤلونها ألا يؤدي هذا إلىٰ اتهامهم في دينهم وأمانتهم؟

ثم إن ما يلاقيه الكفار من عذاب النار الدائم أشد مما يلاقونه في هذا اليوم بما لا يقاس ألا يدل هذا علىٰ فساد هذا التأويل؟!.[١]

وقول النووي رحمه الله: "كما أن رضاه ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة؛ لأن الله تعالىٰ يستحيل في حقه التغير في الغضب والرضاء".

---

(١) انظر "الابتهاج" (٦٠٣ – ٦٠٤).

أقول: إن هذا تأويلٌ باطلٌ، جرىٰ فيه النوويُّ علىٰ طريقة الأشاعرة المقلِّدين للجهمية، والمتابعين لهم في تأويل كثير من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها: الاستواءُ والنزول والرضا والغضب، وهذا الكلام فيه مخالفةٌ لمنهج السلف الصالح، ولظاهر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتأويلُه فاسد؛ إذ أوَّل غضبَ الله بمخلوقاته، وهو ما يشاهده أهلُ الجمع من الأهوال، وكذلك أليم العذاب، فهذه مخلوقات، فأوَّل صفة الله اللائقة بجلاله أوَّلها بخلقه ومفعولاته، ونسأله: هل الأنبياء المذكورون حينما سيقولون هذا الكلام هل هم يعتقدون أن غضب الله هو ما يشاهده أهلُ المجمع، وما يرونه من أليم عذاب؟ أو يعتقدون أن هذه صفة من صفات الله تليق بجلاله؟ وهل الرسول والصحابة والتابعون حينما كانوا يبلِّغون الناس من عرب وعجم بهذه الصفات، التي وصف الله بها نفسه في كتابه وفي سنة رسوله، هل كانوا يتأوَّلون هذه التأويلات، ويُلقِّنون من يبلِّغونهم من العجم بمثل هذه التأويلات؟ حاشاهم! ولو كانوا يعتقدون ما يعتقده الجهمية في هذه الصفات، وبلَّغوهم بها، ولم يحذِّروهم من هذا الاعتقاد، أو من الاعتقاد الذي يفرُّ منه الجهمية، لكانوا -والعياذ بالله- في موضع التهمة؛ إذ لم يحذِّروا الناس من هذا الأمر الذي يعتبره الجهمية ضلالًا، وينزهون الله عنه، ووالله ليس بضلال، وإن صفة الغضب والرضا لمن صفات الكمال، فالجمادات لا توصف برضا ولا بغضب، وكثيرٌ من الكفار لا يغضبون من الشرك والفواحش، وهذا نقصٌ فيهم، والله يغضب من

الشرك والفواحش والمعاصي، وهذا غاية الكمال، ولا يصف الله نفسه ولا يصفه رسولُه إلا بما هو كمال، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزِّه نفسه عن صفات النقص، كما نزَّه نفسه عن الصاحبة والولد والشريك والنظير والند سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو ينزِّه نفسه عن السِّنَة والنوم وما شابه ذلك من النقائص، فكيف يتصوَّر عاقلٌ أن الله يصف نفسه بما يوهم النقص، ولا ينزِّه نفسه عنه، كما نزَّه نفسه عن النقائص التي أشرنا إليها.

وقولُه بأن الله تعالىٰ يستحيل في حقه التغيُّر في الغضب والرضا، هذا مبنيٌّ علىٰ الأصل الجهمي الذي هو ينبوع الفساد والبدع والضلال، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رَحِمَهُ اللَّهُ، فلما تصوَّروا أن الله لا تقوم به الأعراضُ -كما يزعمون-، شرعوا في تعطيل صفاته تنزيهًا له، زعمًا منهم عن الأعراض التي هي حوادث، والله لا تحلُّه الحوادث - في زعمهم -.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء، وأفعالُه تحصل كما يريد ومتىٰ شاء، وهو فعالٌ لما يريد في كل وقت وحين، وهذا من الأدلَّة علىٰ كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نصِف أفعاله بأنها أعراضٌ، بل هي صفاتٌ وأفعال كمال، ولو سلكوا منهج السلف ودانوا بما دانوا به، لنجَوْا من هذه التأويلات الفاسدة،

---

(١) "منهاج السنة" (١/ ٣١٢).

والتلاعب بالنصوص القرآنية والنبوية.[١]

فمذهب السلف من الصحابة، ومن اتبعهم الإيمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله علىٰ الوجه اللائق بالله من غير تشبيه أو تعطيل، ولقد وصف الله نفسه في كتابه بهذه الصفات، ووصف رسول الله ربه بهذه الصفات، ولو كانت توهم نقصًا لما وجدت لها ذِكْرًا في الكتاب والسنة، بل لوجدت فيهما تنزيه الله عنها كما نزه نفسه عن السِّنَة والنوم واللغوب والولد والوالد والصاحبة.

---

[١] انظر "الابتهاج" (ص٦٠٣- ٦٠٥).

١٧- بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢١٨) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ خَلَفٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ٩٠ -٩١): "قوله ﷺ: «**هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلىٰ ربهم يتوكلون**» ...، وقال الداودي: المراد بالحديث الذي يفعلونه في الصحة؛ فإنه يكره لمن ليست به علة أن يتخذ التمائم ويستعمل الرقىٰ، وأما من يستعمل ذلك ممن به مرض فهو جائز".

أقول: تعليق التمائم من الشرك، وقد ورد النهي عنها في أحاديث منها عن

عقبة بن عامر: «..ومن تعلق تميمة فقد أشرك» رواه أحمد وأبو يعلىٰ والحاكم[(١)]، وفي معناه أحاديث عن عمران[(٢)] بن حصين، وابن مسعود[(٣)] رضي الله عنهم.

وتأويل الداودي لهذا الحديث تأويل باطلٌ يضيع مزية السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لقوة اعتمادهم وتوكلهم علىٰ الله وصبرهم علىٰ ما

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد في "المسند" (٥/ ١٥٦) رقم (١٦٩٦٩)، والحاكم في "المستدرك" في كتاب الطب (٤/ ٢٤٣) رقم (٧٥١٣)، وصححه الألباني في "الترغيب والترهيب" (٣/ ٣٤٨) رقم (٣٤٥٥)، وأما أبو يعلىٰ فأخرجه في "مسنده" (٣/ ٢٩٦) رقم (١٧٥٩) بلفظ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله عليه ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**» وهو ضعيف بهذا اللفظ.

وانظر "الضعيفة" (٣/ ٤٢٧) رقم (١٢٦٦) فقد بين ما يصح وما لا يصح من ألفاظ هذا الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٣٣/ ٢٠٤) (٢٠٠٠٠)ط/ الرسالة، عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ عَلَىٰ عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟**» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»، من طريق: المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن عمران.

قال الألباني رحمه الله في "الضعيفة" برقم (١٠٢٩): "ضعيف، وله علتان: الأولىٰ: عنعنة المبارك وهو ابن فضالة فقد كان مدلسا، وصفه بذلك جماعة من الأئمة المتقدمين ... . الثانية: الانقطاع بين الحسن وعمران بن حصين؛ فإنه لم يسمع منه كما جزم بذلك ابن المديني، وأبو حاتم، وابن معين، قال الأولان: لم يسمع منه، وليس يصح ذلك من وجه يثبت ...".

ثم رجح رحمه الله في آخر كلامه الوقف فقال:"..للحديث علة ثالثة وهي الوقف وهو الأشبه عندي".

(٣) صحيح، رواه أبو داود برقم (٣٨٨٣)، وابن حبان برقم (٦٠٩٠)، وابن ماجه برقم (٣٥٣٠)، وأحمد برقم (٣٦١٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَىٰ امْرَأَةٍ وَفِي عُنُقِهَا شَيْءٌ مُعَوَّذٌ، فَجَذَبَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَصْبَحَ آلُ عَبْدِ اللَّهِ أَغْنِيَاءَ أَنْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا. ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذِهِ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إِلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ. وهذا لفظ ابن حبان، قال الألباني رحمه الله: "صحيح". "صحيح أبي داود" و"صحيح ابن حبان".

يصيبهم من الأمراض والآلام.

ثم قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والكلام في الفرق بين الطب والكي يطول، وقد أباحهما النبي ﷺ وأثنىٰ عليهما لكني أذكر منه نكتة تكفي وهو أنه ﷺ تطبب في نفسه وطبب غيره ولم يكتو وكوىٰ غيره ونهىٰ في الصحيح أمته عن الكي وقال: «**ما أحب أن أكتوي**» هذا آخر كلام القاضي، والله أعلم".

أقول: أما أباحتهما فنعم، وأما الثناء فلم يُثنِ علىٰ الكي، بل صرح أنه لا يحبه[1] كما ذكر هو ذلك بعد أسطر.

---

(١) يشير الشيخ -حفظه الله- إلىٰ ما أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مسنده" (٥/ ١٤٠) رقم (١٦٨٦٤) قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ أَخبرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ شِفَاءٌ فَفِي شَرْطَةِ مُحْجِمٍ أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ أَوْ كَيَّةٍ تُصِيبُ أَلَمًا وَأَنَا أَكْرَهُ الْكَيَّ وَلَا أُحِبُّهُ**»، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٧/ ٣/ ١٧٤٠) رقم (٤٠٣٥).

بَابُ قَوْلِهِ: «يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ»

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

(٢٢٢) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعَبْسِيُّ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ** قَالَ: وَمَا **بَعْثُ النَّارِ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**» قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ**».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ٩٧): "قوله ﷺ: «**لبيك وسعديك والخير في يديك**» معنى «**في يديك**»: عندك، وقد تقدم بيان «**لبيك وسعديك**» في حديث معاذ رضي الله عنه".

أقول: نعم، الخير عند الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحِجر:٢١].

ومع هذا، فيجب الإيمان بأن لله يدين تليقان بجلاله لا تشبه أيدي المخلوقين، وهذا النص واحد من الأدلة الكثيرة على إثبات اليدين لله.



٢- كِتَابِ الطَّهَارَةِ

ويتضمن الأبواب التالية :

(١) بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ عَقِبَهُ.

(٢) بَابُ وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ بِكَمَالِهِمَا.

(٣) بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ.

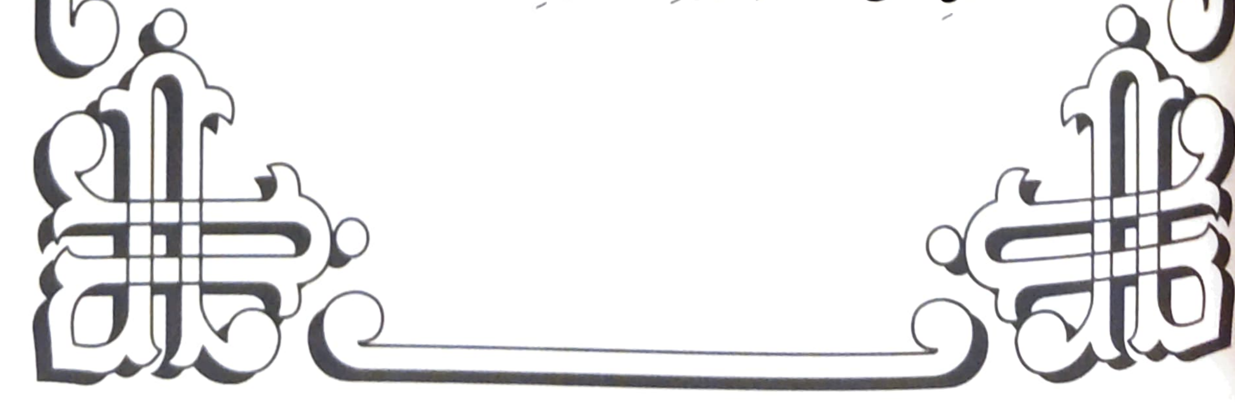
(٤) بَابُ الاسْتِطَابَةِ.

(٥) بَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ مِنَ التَّبَرُّزِ.

(٦) بَابُ كَرَاهَةِ غَمْسِ الْمُتَوَضِّئِ وَغَيْرِهِ يَدَهُ الْمَشْكُوكَ فِي نَجَاسَتِهَا فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ غَسْلِهَا ثَلَاثًا.

(٧) بَابُ حُكْمِ بَوْلِ الطِّفْلِ الرَّضِيعِ وَكَيْفِيَّةِ غُسْلِهِ.

(٨) بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبِ الاسْتِبْرَاءِ مِنْهُ.



١- بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ عَقِبَهُ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٣٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، وَأَبِي بَكْرٍ، قَالُوا- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ أَبِي أَنَسٍ، أَنَّ عُثْمَانَ تَوَضَّأَ بِالْمَقَاعِدِ فَقَالَ: «أَلَا أُرِيكُمْ وُضُوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا» وَزَادَ قُتَيْبَةُ فِي رِوَايَتِهِ قَالَ: سُفْيَانُ: قَالَ أَبُو النَّضْرِ: عَنْ أَبِي أَنَسٍ قَالَ: وَعِنْدَهُ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٠٧): "واختلف العلماء في مسح الرأس فذهب الشافعي في طائفة إلىٰ أنه يستحب فيه المسح ثلاث مرات كما في باقي الأعضاء، وذهب أبو حنيفة، ومالك، وأحمد والأكثرون إلىٰ أن السنة مرة واحدة ولا يزاد عليها والأحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار علىٰ قوله: مسح.

واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه الآتي في "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ توضأ ثلاثا ثلاثا. وبما رواه أبو داود في سننه أنه ﷺ مسح رأسه ثلاثا، وبالقياس علىٰ باقي الأعضاء وأجاب عن أحاديث المسح مرة واحدة بأن ذلك لبيان الجواز وواظب ﷺ علىٰ الأفضل، والله أعلم".

أقول: هذا الحديث المشار إليه أورده أبو داود في "سننه" في كتاب الطهارة حديث (١٠٧)، ثم أورد عقبه حديثًا يفيد أن المسح مرة واحدة، ثم عقبهما أبو داود بقوله: قال أبو داود: أحاديث عثمان رضي الله عنه الصحاح كلها تدل على مسح الرأس مرة؛ فإنهم ذكروا الوضوء ثلاثًا، وقالوا فيها: ومسح رأسه ولم يذكروا عددًا كما ذكروه في غيره، وقع هذا في الحديث الذي فيه مسح الرأس ثلاث مرات ضعيف؛ لأن في إسناده عبد الرحمن بن وردان، قال فيه الحافظ: مقبول، ثم أورد أبو داود حديثًا آخر فيه: «ومسح رأسه ثلاثًا» وهو أيضًا ضعيف؛ إذ في إسناده عامر بن شقيق بن حمزة، قال الحافظ فيه: لين الحديث، وأشار أبو داود إلى علة في الحديث حيث قال عقبه: قال أبو داود: رواه وكيع عن إسرائيل قال: توضأ ثلاثًا فقط.

٢- بَابُ وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ بِكَمَالِهِمَا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٤٠) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَأَبُو الطَّاهِرِ، وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَىٰ، قَالُوا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَالِمٍ، مَوْلَىٰ شَدَّادٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَتَوَضَّأَ عِنْدَهَا فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَسْبِغِ الْوُضُوءَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٢٩): "فذهب جمع من الفقهاء من أهل الفتوىٰ في الأعصار والأمصار إلىٰ أن الواجب غسل القدمين مع الكعبين ولا يجزئ مسحهما، ولا يجب المسح مع الغسل، ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يعتد به في الإجماع، وقالت الشيعة: الواجب مسحهما، وقال محمد بن جرير، والجبائي رأس المعتزلة: يتخير بين المسح والغسل. وقال بعض أهل الظاهر يجب الجمع بين المسح والغسل".

أقول: لا يصح نسبة ذلك لابن جرير؛ لأن ابن جرير رجح في "تفسيره" الغسل، وذكر ذلك في (ص٦٤) مجلد (١٠).[١]

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٢٩): "وقوله ﷺ: «**ويل للأعقاب من النار**» فتواعدها بالنار؛ لعدم طهارتها، ولو كان المسح كافيا لما تواعد من ترك غسل عقبيه وقد صح من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا قال: يارسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء فغسل كفيه ثلاثا، إلىٰ أن قال: ثم غسل رجليه ثلاثًا، ثم قال: «**هكذا الوضوء فمن زاد علىٰ هذا أو نقص فقد أساء**

---

(١) قال ابن جرير رحمه الله -في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦] بعد أن رجح قراءة الخفض علىٰ قراءة النصب-: "فإن قال قائل: وما الدليل علىٰ أن المراد بالمسح في الرجلين العموم، دون أن يكون خصوصًا، نظيرَ قولك في المسح بالرأس؟

قيل: الدليل علىٰ ذلك، تظاهرُ الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ويل للأعقاب وبُطون الأقدام من النار**»، ولو كان مسح بعض القدم مجزئا عن عمومها بذلك لما كان لها الويل بترك ما تُرك مسحه منها بالماء بعد أن يُمسح بعضها؛ لأن من أدَّىٰ فرض الله عليه فيما لزمه غسلُه منها لم يستحق الويل، بل يجب أن يكون له الثواب الجزيل، وفي وجوب الويل لعَقِب تارك غسل عَقِبه في وضوئه، أوضحُ الدليل علىٰ وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء، وصحةِ ما قلنا في ذلك، وفسادِ ما خالفه"اهـ.

فالإمام الطبري لا يرىٰ التخيير بين المسح والغسل، بل يرىٰ وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء، ومعنىٰ ذلك أنه لابد من غسل الأرجل بالماء وزيادة المسح باليد مع الغسل؛ ولذلك قال: "ولو كان مسح بعض القدم مجزئا عن عمومها بذلك لما كان لها الويل بترك ما تُرك مسحه منها بالماء بعد أن يُمسح بعضها".

وظلم»، هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود وغيره بأسانيدهم الصحيحة، والله أعلم".

أقول: رواية «**فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم**» رواية شاذة، وقد أبان شذوذها الشيخ الألباني رحمه الله[1].

---

(١) انظر "المشكاة" (ص٤١٧).

٣- بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٤٩) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ ابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ -قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ- أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَىٰ الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ. فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٣٩): "قوله: «**لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم**» أما «**بين ظهري**» فمعناه: بينهما، وهو بفتح الظاء وإسكان الهاء، وأما الدهم: فجمع أدهم وهو الأسود والدهمة السواد، وأما:

البهم، فقيل: السود أيضا، وقيل: البهم الذي لا يخالط لونه لونا سواه سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر، بل يكون لونه خالصا، وهذا قول ابن السكيت وأبي حاتم السختياني.

أقول: الصواب السجستاني، وهو سهل بن محمد اللغوي المعروف.

٤- بَابُ الاسْتِطَابَةِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٦٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ ح، وحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، -وَاللَّفْظُ لَهُ- أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ، **لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ.**

قال النووي رحمه الله (٣/ ١٥٧): "قوله: (أو أن نستنجي برجيع أو عظم) فيه النهي عن الاستنجاء بالنجاسة ونبه ﷺ بالرجيع علىٰ جنس النجس؛ فإن الرجيع هو الروث، وأما العظم فلكونه طعاما للجن؛ فنبه علىٰ جميع المطعومات، وتلتحق به المحترمات كأجزاء الحيوان وأوراق كتب العلم وغير ذلك".

أقول: في هذا الكلام نظر؛ فإنَّ روث وبول ما يؤكل لحمه ليس بنجس، والدليل أمر النبي ﷺ العرنيين بالشرب من أبوال الإبل، وجواز الصلاة في

مرابض الغنم، وقوله ﷺ في العظم والروث: «**فإنهما زاد إخوانكم من الجن**» (ت ٣٢٥٨)، وفي لفظ: «**فإنهما طعام إخوانكم**» (م ١٤٥٠).

فالتفريق بين العظم والروث، وهما في سياق واحد في حديث واحد، وقد أعطاهما الرسول حكمًا واحدًا، وعلل لهما بعلة واحدة، وهي كونهما طعام الجن من الغرائب المستنكرة؛ إذ كيف يحق لمن يعلم سنة رسول الله ﷺ أن يفرق بين أمرين جمعهما رسول الله بعلة واحدة وحكم واحد؟!.

٥- بَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ مِنَ التَّبَرُّزِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٧٠) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «دَخَلَ حَائِطًا وَتَبِعَهُ غُلَامٌ مَعَهُ مِيضَأَةٌ، هُوَ أَصْغَرُنَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ سِدْرَةٍ، فَقَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا وَقَدِ اسْتَنْجَىٰ بِالْمَاءِ».

(٢٧١) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَغُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ ح، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ الْخَلَاءَ فَأَحْمِلُ أَنَا، وَغُلَامٌ نَحْوِي، إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ، وَعَنَزَةً فَيَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ».

(٢٧١) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ -وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ-، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنِي رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَبَرَّزُ لِحَاجَتِهِ، فَآتِيهِ بِالْمَاءِ، فَيَتَغَسَّلُ بِهِ».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٣/ ١٦٣): "وأما فقه هذه الأحاديث ففيها استحباب التباعد لقضاء الحاجة عن الناس والاستتار عن أعين الناظرين وفيها جواز استخدام الرجل الفاضل بعض أصحابه في حاجته وفيها خدمة الصالحين وأهل الفضل والتبرك بذلك".

أقول: الأولىٰ ألا يقال بالتبرك به، ويقال: هذا من باب التوقير والاحترام الذي أمر به الشارع، ومن حسن الآداب والأخلاق.

ولا يجوز التبرك بأحد بعد الرسول ﷺ؛ لأنه يؤدي إلىٰ فساد الخادم والمخدوم، الخادم يقع في الغلو والمخدوم يقع في الغرور.

وقد نتج عن مثل هذا التعبير واعتقاد جوازه مفاسد كثيرة في أوساط الصوفية وأهل البدع، والواجب تركه؛ سدًّا لذرائع الفساد التي قد تؤدي إلىٰ الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

٦- بَابُ حُكْمِ بَوْلِ الطِّفْلِ الرَّضِيعِ وَكَيْفِيَّةِ غُسْلِهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَىٰ بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ، فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَيْهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَتْبَعَهُ بَوْلَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ١٩٤): "أما أحكام الباب ففيه استحباب تحنيك المولود وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل وفيه استحباب حمل الأطفال إلىٰ أهل الفضل للتبرك بهم وسواء في هذا الاستحباب المولود في حال ولادته وبعدها".

أقول: الصواب: أن التبرك خاص بالنبي ﷺ، والدليل علىٰ ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لم يتبركوا بأحد بعد رسول الله ﷺ، بما في ذلك أبو بكر وعمر؛ فكان ذلك إجماع عملي منهم أن هذا الأمر خاص بالنبي ﷺ، والقول بالتعميم قد جرَّ إلىٰ مفاسد كثيرة وضلال كبير، بل جرَّ إلىٰ الشرك بالله.

٧- بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبِ الاسْتِبْرَاءِ مِنْهُ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢٩٢) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَإِسْحَاقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يُحَدِّثُ عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»، قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَىٰ هَذَا وَاحِدًا وَعَلَىٰ هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (٣/ ٢٠٢): "واستحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث؛ لأنه إذا كان يرجىٰ التخفيف بتسبيح الجريد فتلاوة القرآن أولىٰ، والله أعلم".

أقول: هذا فيه نظر؛ فإنه قد وجد مقتضاه في عهد النبي ﷺ ولم يفعله ولم

يأمر به؛ ولا فعله خلفاؤه من بعده؛ فلا تشرع قراءة القرآن عند القبر.[(١)]

---

(١) سئل الإمام العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله كما في "مجموع مؤلفاته" (٥ / ٤٠٧) السؤال التالي: س: بعد دفن الميت يقرأ بعض الناس من المصحف سورة (يس) عند القبر، ويضعون غرسًا على القبر مثل الصبار، ويزرع سطح القبر بالشعير أو القمح بحجة أن الرسول ﷺ وضع ذلك على قبرين من أصحابه، ما حكم ذلك؟ ح . ع الدمام.

ج: لا تشرع قراءة سورة (يس) ولا غيرها من القرآن على القبر بعد الدفن ولا عند الدفن، ولا تشرع القراءة في القبور؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ولا خلفاؤه الراشدون، كما لا يشرع الأذان ولا الإقامة في القبر، بل كل ذلك بدعة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه".

وهكذا لا يشرع غرس الشجر على القبور، لا الصبار ولا غيره، ولا زرعها بشعير أو حنطة أو غير ذلك؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك في القبور ولا خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم، أما ما فعله مع القبرين اللذين أطلعه الله على عذابهما من غرس الجريدة فهذا خاص به ﷺ وبالقبرين؛ لأنه لم يفعل ذلك مع غيرهما، وليس للمسلمين أن يحدثوا شيئًا من القربات لم يشرعه الله للحديث المذكور، ولقول الله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ الآية وبالله التوفيق".



٣ - كِتَابُ الْحَيْضِ

ويتضمن الباب التالي:

(١) بَابُ مُبَاشَرَةِ الْحَائِضِ فَوْقَ الإِزَارِ.

١- بَابُ مُبَاشَرَةِ الْحَائِضِ فَوْقَ الإِزَارِ

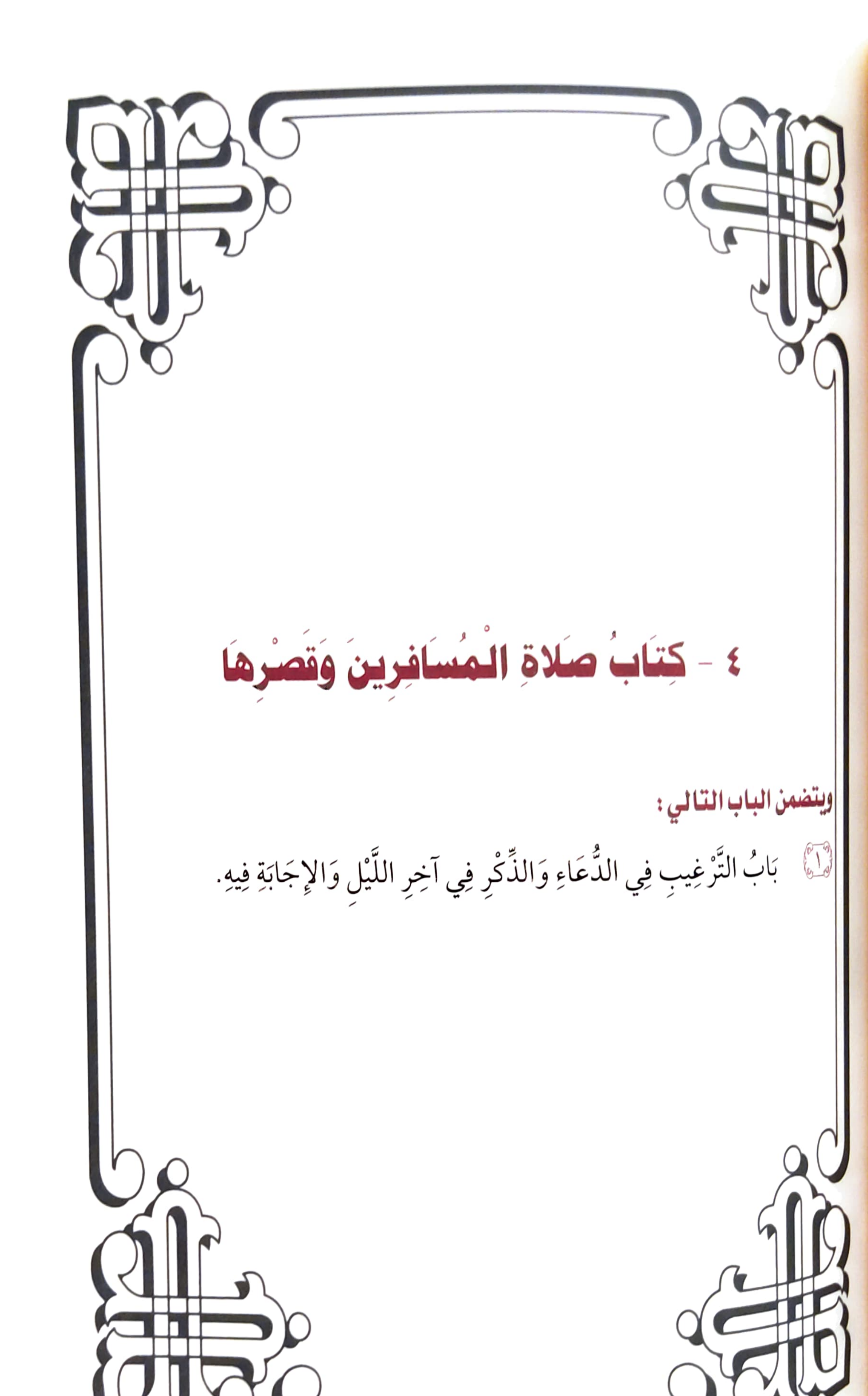
قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٢٩٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ -قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ:- حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَأْتَزِرُ بِإِزَارٍ ثُمَّ يُبَاشِرُهَا».

قال النووي رحمه الله في (٣/ ٢٠٥): "وتعلقوا بحديث ابن عباس المرفوع: «**من أتىٰ امرأته وهي حائض فليتصدق بدينار أو نصف دينار**»، وهو حديث ضعيف باتفاق الحفاظ؛ فالصواب ألا كفارة، والله أعلم".

أقول: حديث ابن عباس رواه عن شعبة مرفوعًا يحيىٰ بن سعيد القطان ومحمد بن جعفر، وشريك، وابن أبي عدي؛ فالظاهر حجية الحديث، ولو سلمنا بوقفه عن ابن عباس؛ فإن هذا لا يقوله من عند نفسه.(١)

(١) الحديث قد صححه العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه لسنن الترمذي (١/ ٢٥٤-٢٥٥)، وأيده العلامة الألباني رحمه الله في تصحيحه فقال في كتابه "صحيح أبي داود" (٢/ ١٩): "وتجد تفصيل الكلام علىٰ هذا الحديث وطرقه وألفاظه في تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر علىٰ الترمذي (١/ ٢٤٦-٢٥٤)، وفيه تحقيق دقيق، لا تجده في كتاب؛ إلا أنه وهم في بعض الشيء، لكنه لا يخدج في تحقيقه لصحة الحديث..". اهـ.



٤ - كِتَابُ صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا

ويتضمن الباب التالي :

١ بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ.

١- بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٧٥٨) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْأَغَرِّ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

قال النووي رحمه الله في (٦/ ٣٦): "قوله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له**» هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان، ومختصرهما: أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالىٰ وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالىٰ عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن

مالك والأوزاعي أنها تتأول علىٰ ما يليق بها بحسب مواطنها؛ فعلىٰ هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا. إذا فعله أتباعه بأمره. والثاني: أنه علىٰ الاستعارة، ومعناه: الإقبال علىٰ الداعين بالإجابة واللطف".

أقول: لم يثبت عن الإمام مالك رحمه الله هذا التأويل، بل الثابت عنه أنه يمر الصفات كما جاءت؛ حتىٰ قال كلمته المشهورة عندما سُئل عن الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.[1]

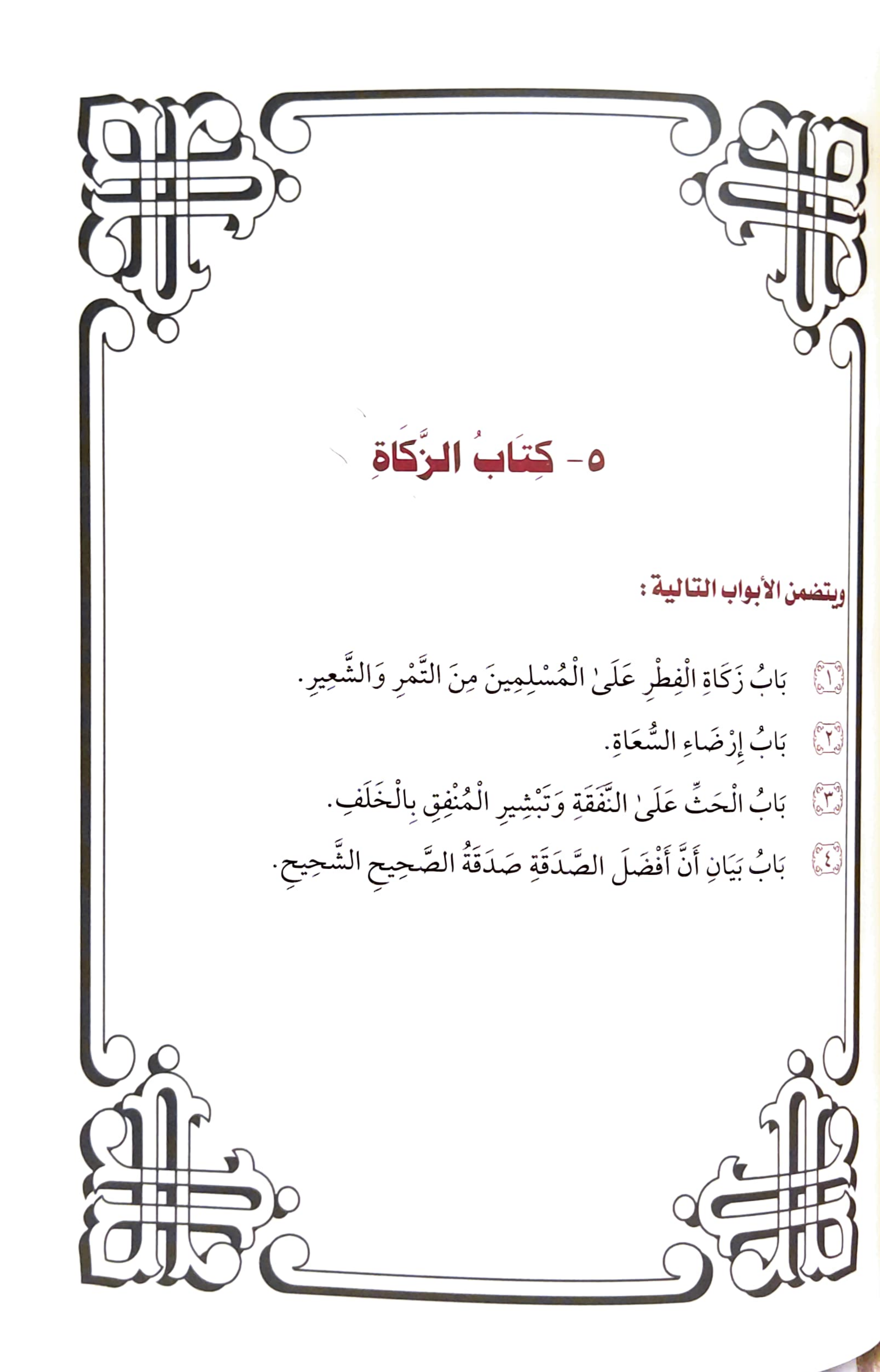
---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَكَذَلِكَ نُقِلَ عَنْ مَالِكٍ رِوَايَةٌ أَنَّهُ تَأَوَّلَ «**يَنْزِلُ إلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» أَنَّهُ يَنْزِلُ أَمْرُهُ. لَكِنَّ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ حَبِيبٍ كَاتِبِهِ وَهُوَ كَذَّابٌ بِاتِّفَاقِهِمْ، وَقَدْ رُوِيَتْ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ لَكِنَّ الْإِسْنَادَ مَجْهُولٌ". انتهىٰ من "مجموع الفتاوىٰ" (١٦/ ٤٠٥).

قال الإمام الترمذي رحمه الله -بعد روايته حديث «**إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه**»-: "وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ، **وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**، قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ؟ **هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ**، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ المُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ: **أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ**". "سنن الترمذي" (٣/ ٤١) (٦٦٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وَقَالَ حَنْبَلٌ: قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: نُزُولُهُ بِعِلْمِهِ أَمْ بِمَاذَا؟ فَقَالَ: اسْكُتْ عَنْ هَذَا. وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا.

وَقَالَ مَالِكٌ: **وَلِهَذَا أَمْضِ الْحَدِيثَ كَمَا وَرَدَ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ إِلَّا بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ**، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] **يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ بِقُدْرَتِهِ، وَعِلْمِهِ، وَعَظَمَتِهِ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ**". "مختصر الصواعق" (٤٦٧-٤٦٨).



٥- كِتَابُ الزَّكَاةِ

ويتضمن الأبواب التالية :

١ بَابُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ.

٢ بَابُ إِرْضَاءِ السُّعَاةِ.

٣ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ.

٤ بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ.

١- بَابُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(٩٨٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، -وَاللَّفْظُ لَهُ- قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَىٰ النَّاسِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَىٰ كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

قال النووي رحمه الله في (٧/ ٦٠): "وحجة الجمهور حديث أبي سعيد بعد هذا في قوله: «صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من أقط أو صاعا من زبيب»، والدلالة فيه من وجهين: أحدهما أن الطعام في عرف أهل الحجاز اسم للحنطة خاصة، لاسيما وقد قرنه بباقي المذكورات".

أقول: في كلام النووي هذا نظر، ففي "صحيح مسلم" في كتاب [المساقاة] من حديث معمر بن عبد الله رضي الله عنه قوله: «**وكان طعامنا يومئذ الشعير**»، يعني في أيام رسول الله ﷺ، فهذا هو عرف أهل الحجاز في الطعام، يؤكده حديث قتادة

المرسل في "جامع الترمذي" برقم (٣٠٣٦). [(١)]

---

(١) قال الإمام الترمذي رحمه الله في "جامعه" - كتاب تفسير القرآن - باب: ومن سورة النساء رقم(٣٠٣٦):
حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني حدثنا محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم: بنو أبيرق بشر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا. فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث. أو كما قال الرجل، وقالوا: ابن الأبيرق قالها.

قال: وكان أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما **طعامهم** بالمدينة: **التمر والشعير**، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ابتاع الرجل منها، فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير. فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت؛ فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي، إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه ونقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة؛ ولا نرىٰ فيما نرىٰ إلا علىٰ بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرىٰ صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتىٰ لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلىٰ عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال: النبي ﷺ: «**سآمر في ذلك**»، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له: أسير بن عروة، فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلىٰ أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ

فكلمته، فقال: «**عمدت إلىٰ أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة علىٰ غير ثبت ولا بينة**»، قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان. فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا**﴾ بني أبيرق ﴿**وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ**﴾ أي: مما قلت لقتادة ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ أي: لو استغفروا الله لغفر لهم ﴿**وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ قوله لبيد ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[النساء:١٠٥-١١٤]، فلما نزل القرآن أُتي رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلىٰ رفاعة فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخا قد عمي أو عشي في الجاهلية وكنت أرىٰ إسلامه مدخولا، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله. فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين فنزل علىٰ سلاقة بنت سعد بن سمية فأنزل الله: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾، فلما نزل علىٰ سلاقة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره فأخذت رحله فوضعته علىٰ رأسها ثم خرجت به فرمت به في الأبطح ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير.

وقال الألباني رحمه الله في تحقيقه لجامع الترمذي: حسن.

٢- بَابُ إِرْضَاءِ السُّعَاةِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٠٣٢) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ الْـحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**».

قال النووي رحمه الله في (٧/ ١٢٤): "قوله ﷺ: «**أما وأبيك لتنبأنه**»، قد يقال: حلف بأبيه وقد نهىٰ عن الحلف بغير الله وعن الحلف بالآباء، والجواب: أن النهي عن اليمين بغير الله لمن تعمده وهذه اللفظة الواقعة في الحديث تجري علىٰ اللسان من غير تعمد فلا تكون يمينا ولا منهيا عنها كما سبق بيانه في كتاب الإيمان".

أقول: هذه اللفظة وَهِمَ فيها محمد بن فضيل، والدليل علىٰ هذا أنه قد خالفه عدد من الرواة الحفاظ عن عمارة بن القعقاع حيث لم يذكروا هذه اللفظة، وهم سفيان الثوري وجرير بن عبد الحميد وعبد الواحد بن زياد، وقد تابعه شريك في هذه اللفظة عند ابن ماجة (٢٧٠٦)، وشريك ضعيف وخالفه

في موضعها، فقد زاد في أول هذا الحديث كلامًا كثيرًا صدره بهذه اللفظة، وأتىٰ في هذا الموضع بقوله: (والله) وذلك يؤكد خطأ شريك ومحمد بن فضيل حيث لم يتفقا علىٰ موضع هذه اللفظة.

وذهب الطحاوي في "مشكل الآثار" (٢/ ٢٩٥) إلىٰ أن هذا منسوخ.[(١)]

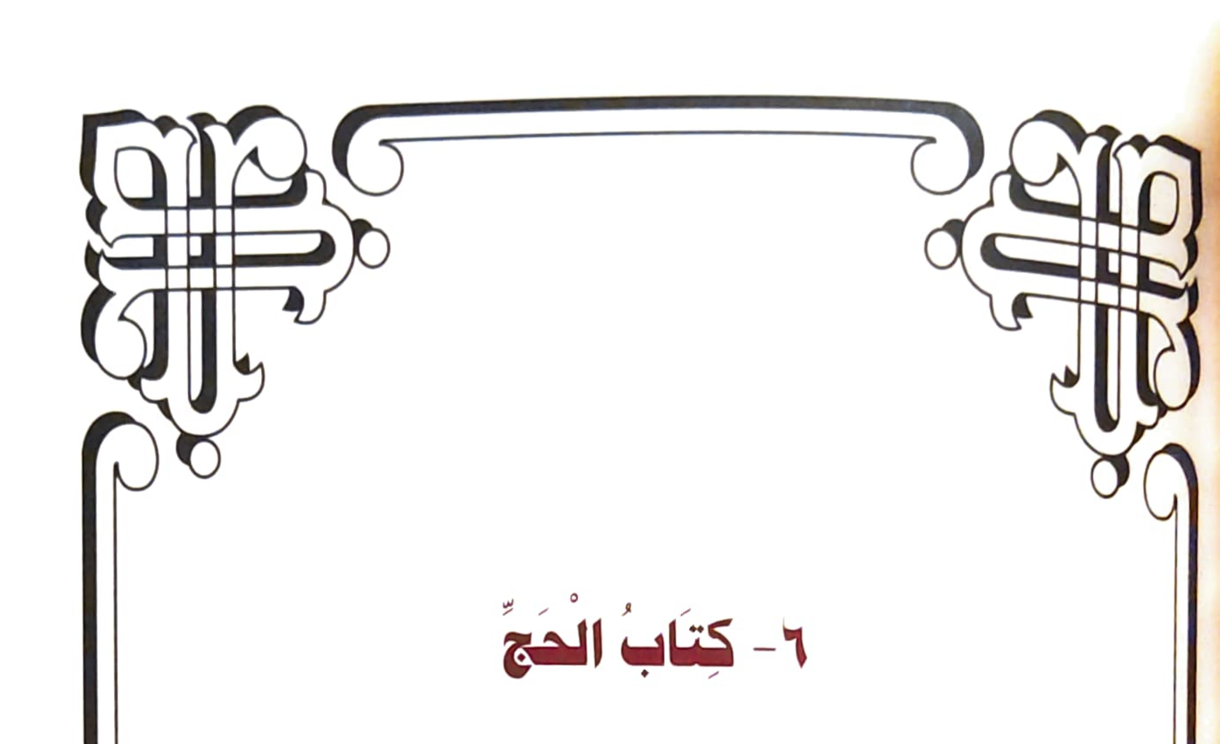
---

(١) وقد بين شذوذ هذه اللفظة العلامة الألباني رحمه الله في موضعين من كتبه:

الموضع الأول: في تحقيقه للأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله: ٣٠٠- بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا وَأَبِيكَ - ٣٣٥

(٦٠٢/ ٧٧٨): "صحيح دون لفظ: «**وأبيك**»" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَىٰ، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**».

الموضع الثاني: في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (١٠/ ٧٥٠-٧٦٨ رقم ٤٩٩٢) في بحث طويل ونفيس، وخلاصته في (ص٧٥٥) حيث قال: "ومن ذلك يتبين أن زيادة الحلف بالأب في هذا الحديث زيادة شاذة غير محفوظة.

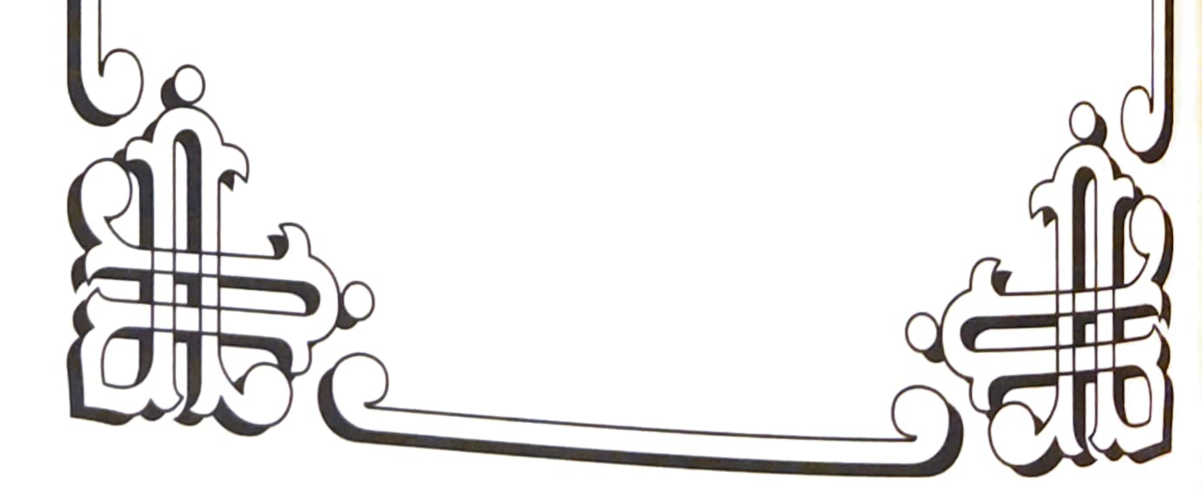


٦- كِتَابُ الْحَجِّ

ويتضمن البابين التاليين:

١ بَابُ مَا يُبَاحُ لِلْمُحْرِمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ وَمَا لَا يُبَاحُ وَبَيَانِ تَحْرِيمِ الطِّيبِ عَلَيْهِ.

٢ بَابُ التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا.



١- بَابُ مَا يُبَاحُ لِلْمُحْرِمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ وَمَا لا يُبَاحُ وَبَيَانِ تَحْرِيمِ الطِّيبِ عَلَيْهِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١١٨٠) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ وَعَلَيْهَا خَلُوقٌ -أَوْ قَالَ: أَثَرُ صُفْرَةٍ- فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عُمْرَتِي؟ قَالَ: وَأُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ، فَسُتِرَ بِثَوْبٍ، وَكَانَ يَعْلَىٰ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي أَرَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ. قَالَ فَقَالَ: أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ؟ قَالَ: فَرَفَعَ عُمَرُ طَرَفَ الثَّوْبِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ، -قَالَ وَأَحْسَبُهُ قَالَ: كَغَطِيطِ الْبَكْرِ-، قَالَ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ؟ اغْسِلْ عَنْكَ أَثَرَ الصُّفْرَةِ** -أَوْ قَالَ: **أَثَرَ الْخَلُوقِ- وَاخْلَعْ عَنْكَ جُبَّتَكَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فِي حَجِّكَ**».

قال النووي رحمه الله في (٨/ ٧٧): "قوله: «**اغْسِلْ عَنْكَ أَثَرَ الصُّفْرَةِ**» فِيهِ تَحْرِيمُ الطِّيبِ عَلَىٰ الْمُحْرِمِ ابْتِدَاءً وَدَوَامًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا حَرُمَ دَوَامًا فَالِابْتِدَاءُ أَوْلَىٰ بِالتَّحْرِيمِ".

أقول: سيأتي أنه يجيزه عند إراده الإحرام ثم استدامته (ص٩٨)، وإنما يحرم ابتدؤاه في الإحرام.[1]

(١) قال النووي رحمه الله في (٨/ ٩٨): "بَابُ اسْتِحْبَابِ الطِّيبِ قَبْلَ الإِحْرَامِ فِي البَدَنِ وَاسْتِحْبَابه بِالمِسْكِ، وَأَنَّه لَا بَأْسَ بِبَقَاءِ وَبِيْصِهِ وَهُو بَرِيْقُه وَلَمَعَانُه - قَوْلُهَا: «طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِحُرْمِهِ حِينَ أَحْرَمَ وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ» ...، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِ الطِّيبِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِحْرَامِ، وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِاسْتِدَامَتِهِ بَعْدَ الْإِحْرَامِ وَإِنَّمَا يَحْرُمُ ابْتِدَاؤُهُ فِي الْإِحْرَامِ وَهَذَا مَذْهَبُنَا، وَبِهِ قَالَ خَلَائِقُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَجَمَاهِيرُ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ".

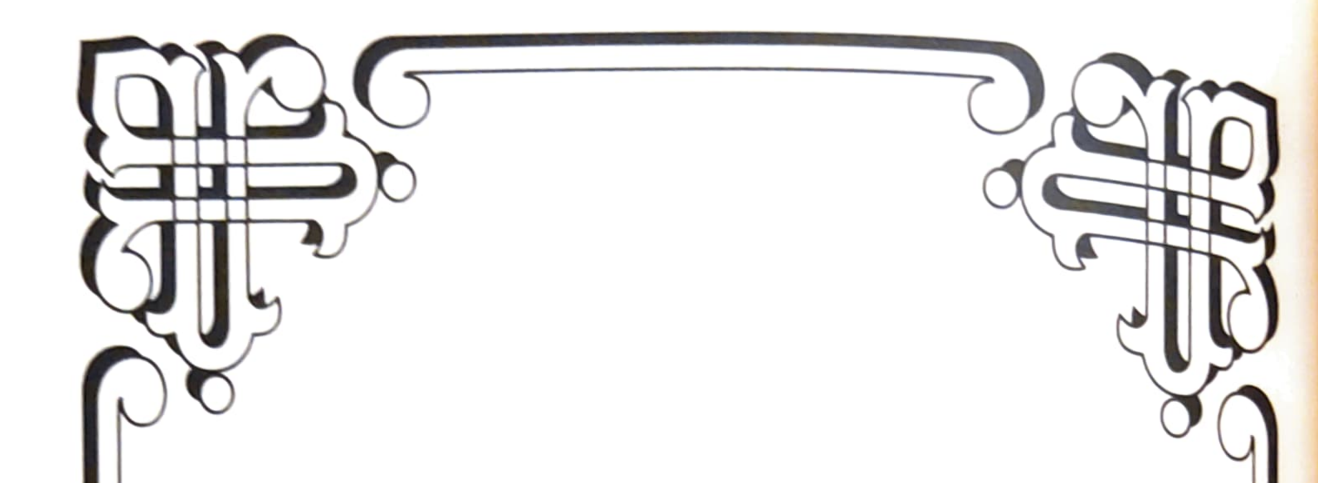
٢- بَابُ التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١١٨٤) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**» قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَزِيدُ فِيهَا: "لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ".

قال النووي رحمه الله في (٨/ ٨٧): " قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ: التَّلْبِيَةُ مُثَنَّاةٌ لِلتَّكْثِيرِ وَالْمُبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهُ: إِجَابَةٌ بَعْدَ إِجَابَةٍ وَلُزُومًا لِطَاعَتِكَ، فَتُثَنَّىٰ لِلتَّوْكِيدِ لَا تَثْنِيَةً حَقِيقِيَّةً بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أَيْ: نِعْمَتَاهُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ الْيَدِ بِالنِّعْمَةِ هُنَا، وَنِعَمُ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا تُحْصَىٰ".

أقول: تأويل اليدين بالنعمتين باطل، والواجب إثباتهما على الوجة اللائق بالله عز وجل من غير تشبيه ولا تعطيل، كسائر الصفات الثابتة لله بنص القرآن والسنة، وهذا هو المنهج الحق الذي آمن به السلف وخالف فيه الخلف.



٧- كِتَابُ الإِمَارَة

ويتضمن البابين التاليين:

١ بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ.

٢ بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ.



١- بَابُ فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١٨٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: وَأَبُو بَكْرٍ: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ** عَزَّوَجَلَّ، **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»".

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (١٢/ ٢١١): "أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ**» فَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي أَوَّلِ هَذَا الشَّرْحِ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهِ، وَلَا نَعْرِفُ مَعْنَاهُ، لَكِنْ نَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ، وَأَنَّ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ السَّلَف وطَوَائِف مِن المُتكَلِّمِين".

أقول: قال الإمام الترمذي رحمه الله في "السنن" (٤/ ٦٩٢) -في إثبات الصفات-: "والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع وغيرهم: أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروىٰ هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث: أن تُروىٰ هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها، ولا تفسر، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمرُ أهلِ العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه".

وقال الترمذي أيضًا في (٣/ ٥٠): "وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث[1] وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها، ولا يتوهم ولا يقال: كيف؟

هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر

---

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وَ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾» [البقرة: ٢٧٦]".

الله عَزَّوَجَلَّ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها علىٰ غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده. وقالوا: إن معنىٰ اليد ههنا القوة. وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيد. أو مثلُ يدٍ، أو سمعٌ كسمعٍ، أو مثلُ سمعٍ، فإذا قال: سمعٌ كسمعٍ، أو مثلُ سمعٍ؛ فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالىٰ يد، وسمع، وبصر، ولا يقول كيف؟ ولا يقول مثلُ سمعٍ، ولا كسمعٍ؛ فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]".

٢- باب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي المَعْصِيَةِ

قال الإمام مسلم رحمه الله:

(١٧٠٩) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبِ بْنِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنِي بُكَيْرٌ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»".

قال النووي رحمه الله في (١٢/ ٢٢٩): "قوله ﷺ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» هكذا هو لمعظم الرواة وفي معظم النسخ: «**بَوَاحًا**» بالواو وفي بعضها: «**بَرَاحًا**» والباء مفتوحة فيهما، ومعناهما: كفرًا ظاهرًا، والمراد بالكفر هنا المعاصي".

أقول: قوله: "والمراد بالكفر هنا المعاصي" مخالف للأحاديث الصريحة في وجوب الطاعة لولاة الأمور في طاعة الله ولو كانوا عصاة.

والمراد بالكفر في الحديث: الكفر الواضح المخرج من الملة.

والمراد بالمنازعة: منازعتهم في ولايتهم لإبعادهم عنها إذا وضح كفرهم وكان للمسلمين قدرة على إبعادهم عن ولاية أمر المسلمين دون أن يؤدي الأمر إلى منكر أكبر على الإسلام والمسلمين.

أما تفسير الكفر بالمعاصي فتفسير غريب مخالف لظاهر الحديث، فأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر بالحكمة مأخوذ من غير هذا الحديث.

٣- بَابُ تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ، وَبِمَلِكِ الْمُلُوكِ

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(٢١٤٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ**».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (١٤/ ١٢١): "قال الماوردي: «**أَغْيَظُ**» هنا مصروف عن ظاهره والله سبحانه وتعالىٰ لا يوصف بالغيظ؛ فيتأول هنا الغيظ علىٰ الغضب، وسبق شرح معنىٰ الغضب والرحمة في حق الله سبحانه وتعالىٰ، والله أعلم".

أقول: هذا من تأويلات الأشعرية لصفات الله تعالىٰ التي آمن بها السلف من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

الفهرس

